

الطالع السعيد

شرح

دروس التوحيد

للحبيب العلامة الداعي إلى الله
محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبي بكر بن سالم
رحمه الله تعالى

تأليف
عُمَر بن مُحَمَّد بن طَاهِر الكَاف
عفا الله عنه

الطالع السعيد
شرح
دروس التوحيد

اسم المتن: دروس التوحيد.
مؤلف المتن: الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ ابن الشيخ أبو بكر بن سالم.
اسم الشرح: الطالع السعيد شرح دروس التوحيد.
جمع وترتيب: عمر بن محمد بن طاهر الكاف .
الطبعة الأولى: ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م .
حقوق الطبع: جميع الحقوق محفوظة.
البريد الإلكتروني: omar_alkaf@hotmail.com
قياس القطع: 21.0 * 14.8
عدد الصفحات: 136 .

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخريبه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق ..

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form by any means without prior permission in writing the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نبذة مختصرة عن مؤلف مقدمات التوحيد

اسمه: الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ بن عبد الله بن أبي بكر بن عيديروس بن عمر بن عيديروس بن عمر بن أبي بكر بن عيديروس بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة بن علي مولى الدرك بن علوي الغيور بن الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي، ويرجع نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

مولده وفضله: ولد - رحمه الله - في مدينة مشطة بحضرموت سنة ١٣٣٢هـ، ونشأ في حجر والده الإمام الورع الزاهد على كريم الأوصاف، وأخذ عنه مبادئ الإيمان والإسلام، ورضع لبان العلم والفهم من طفولته، فكان جريئاً، صادقاً بالحق، لا يحابي، ولا يخشى في الله لومة لائم، حتى أكرمه الله بنيل الشهادة.

شيوخه: والده الحبيب سالم بن حفيظ [ت: ١٣٧٨هـ]، وجده لأمه القانت الأواه الحبيب علي بن عبدالرحمن المشهور [ت: ١٣٤٤هـ]، والحبيب أحمد بن عمر بن عوض الشاطري [ت: ١٣٦٠هـ]، والحبيب عبدالله بن عمر الشاطري [ت: ١٣٦١هـ]، والشيخ محمد بن عوض بافضل [ت: ١٣٦٩هـ]، والحبيب مصطفى بن أحمد المحضار [ت: ١٣٧٤هـ]، والحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب الدين [ت: ١٣٨٦هـ]، والحبيب حامد بن محمد بن سالم السري [ت: ١٣٩٦هـ]، كما أخذ عن بقية أعيان تريم وغيرها الذين أدرکہم.

جهوده: كان فقيهاً ضليعاً، وداعياً مشهوراً، وواعظاً مؤثراً، وكان عضواً بمجلس القضاء الشرعي بتريم، وعضواً بمجلس الإفتاء أيضاً بتريم، ثم صار رئيساً لمجلس الإفتاء بعد وفاة العلامة الشيخ سالم سعيد بكير باغيثان.

أخلاقه: كان مع علمه الجهم متواضعاً جداً، نادر المثال في الجد والنشاط والانتفاع بالوقت في العبادة ومدارسة العلم، محباً للبحث والتحقيق، موزعاً أوقاته كلها في الخير، وكان مرجعاً في حل المشاكل والمنازعات، وله اليد الطولى في إصلاح ذات البين.

من مؤلفاته التي طبعت: تكملة زبدة الحديث في فقه المواريث، والمفتاح لباب النكاح، والتذكرة الحضرية فيما يجب على النساء معرفته من الأمور الدينية، والفوائد الثمينة لقارئ المختصر والسفينة، ودروس التوحيد، وغيرها.

من مؤلفاته التي لم تطبع: مجموع كلام ومواعظ شيخه الحبيب علوي بن عبدالله بن شهاب (١٠ مجلدات)، ونفح الطيب العاطري في مناقب الحبيب عبدالله بن عمر الشاطري (مجلد كبير)، ورحلة الحبيب مصطفى المحضار عام ١٣٧١هـ إلى حضرموت، وديوان شعره، وفتاواه الكبرى [وهي في عدة كراريس تقرب من مجلد جمعها وبوّبها هو رحمه الله، بعضها بخطه، وبعضها بخط ابنه السيد علي مشهور بن حفيظ].

وفاته: اغتيل - رحمه الله - عندما ذهب إلى مكتب المأمور المسؤول بتريم - من فرقة الإلحاد الشيوعيين - للتوقيع؛ لأنهم ألزموه مع جماعة من زملائه من طلبة العلم أن يحضروا كل يوم إلى مكتب المأمور؛ ليوقعوا كشاهد على وجودهم في البلد، وكان ذلك يوم الجمعة ٢٩ من شهر ذي الحجة سنة ١٣٩٢هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمة

الحمد لله المتفرد بالإنشاء والتصوير والاختراع، المنزه عن الحدود والحركة والسكون والانحطاط والارتفاع، الموصوف بالعلم والحلم والشهود والاطلاع، الفعال لا بأدوات.. المتكلم لا بلهوات.. ولا صوت يكون فيه المد والقصر والانقطاع، العزيز الذي لا تحويه الأقطار.. ولا تدركه الأبصار.. ولا تحيط به الجهات ولا البقاع، القديم الذي جلَّتْ ذاته عن الطول والقصر.. والضيق والسعة.. والشبر والذراع، وجعل الملائكة رسلاً أولى أجنحةٍ مثنى وثلاث ورباع، وصلى الله على سيدنا محمد الذي انشق له القمر.. وكلمه الحجر.. فأفحم أهل الكفر والزور والابتداع، وآله وأصحابه الذين مهدوا رسومهم.. وبذلوا الله نفوسهم.. فلم يكن لهم فيها ارتجاع، صلاةٌ تدوم وتقوم ما عزَّ مطاع.. وهزَّ القلب ساع، وسلَّم تسليماً كثيراً.. أما بعد^(١).

فهذا شرح مختصر لمتن (دروس التوحيد) الذي خبرته أنامل العلامة الحبيب محمد بن سالم بن حفيظ - رحمه الله -، دعاني لجمعه أني كنت في يوم من الأيام مجالساً لأحد إخواننا الدعاة، وطلبت منه أن يدرس مجموعة من الطلاب هذا المتن، فرحب بذلك، وطلب مني شرحاً للمتن، فقلت له: لم يتوفر لدي شرح،

(١) هذه المقدمة مقتبسة من المجلس الثالث من كتاب «زهر الكيام في قصة يوسف عليه السلام»

لسراج الدين أبي حفص عمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة ٧٥١هـ.

لكنني سأشرحه بإذن الله، فلما انتهى لقائي به، وعدتُ إلى منزلي، أخذ الأمر في خاطري يدور بعد أن قلت له تلك الكلمة مداعبةً، خصوصاً أن لي شرحاً مبسطاً على منظومة (جوهرة التوحيد) أسميته بـ "الظل المديد".

فعزمت أن أقتطف من ذلك الشرح ما يتناسب مع مستوى هذا المتن، وحذف بعض التعليقات وإضافة ما احتيج؛ ليكون عوناً لطالب العلم ومسانداً له، فاستعنت بالله، وجاء هذا الشرح المختصر، وما أحسن قول أبي عبدالله السنوسي (ت ٨٩٥هـ) مبيناً شرف هذا العلم وفضله: **ليس من علم من علوم الظاهر يُورث معرفته تعالى ومراقبته إلا التوحيد، وبه يُفتح في فهم العلوم كلها، وعلى قدر معرفته.. يزداد خوفه.** «تهذيب السنوسية»

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يرزقنا مخافته وخشيته، ويكون هذا الشرح خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله مذكراً للأفئدة وموضحاً لها، سالكاً بها مسلك أهل السنة والجماعة على طريقة إمامنا أبي الحسن الأشعري وأبي منصور الماتريدي ومن حذا حذوهما - رحمهم الله أجمعين -، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

عمر بن محمد بن طاهر الكاف

مبادئ علم التوحيد

إن مبادئ كل فنٍ عشرة الحدُّ، والموضوعُ، ثم الثمرة وفضله، ونسبة، والواضع والاسم، الاستمداد، حكم الشارع مسائل، والبعض ببعض اكتفى ومن درى الجميع.. حاز الشرفا حد علم التوحيد: لغة: العلم بأن الشيء واحد.

واصطلاحاً: علم يعرف به إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية.

موضوعه: ذات الله تعالى من حيث [ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقه]، وذات الرسل من حيث [ما يجب وما يستحيل وما يجوز في حقهم]، والسمعيات [وهي الغيبات كالملائكة والجن والحشر والجنة والنار وغير ذلك]..

ثمرته: في الدنيا: حصول اليقين، والارتفاع عن حضيض التقليد، وإلجام المعاند. وفي الآخرة: الفوز بالسعادة الأبدية.

فضله: أنه أشرف العلوم؛ لأن العلم يشرف بشرف معلومه، والعلم بالله تعالى وصفاته أشرف، فهو أصل لما سواه.

نسبته: أنه أصل العلوم الدينية، وما سواه فرع.

واضعه: الشيخ أبو الحسن الأشعري، بمعنى أنه دون هذا العلم ونقح مطالبه، وردّ على الشبه التي أوردتها المعتزلة، فهو إمام أهل السنة بلا منازع.

وقال بعضهم بأن عدّه واضح لعلم التوحيد فيه بحث؛ لأن هذا العلم كان قبله، وكانت له علماء يخوضون فيه كأبي العباس القلانسي، والحارث بن أسد

المحاسبي، وعبدالله بن كُلاب، والحسين الكرابيسي، وكانوا قبل الشيخ الأشعري يُسمون بـ "المثبتة"؛ لإثباتهم ما نفته المعتزلة.

اسمه: علم التوحيد؛ لأن مقصوده الأعظم إثبات وحدانية الله.

ويسمى أيضاً بـ "علم الكلام"؛ لأن مسألة الكلام أشهر مباحثه وأكثرها جدلاً.

ويسمى بـ "علم الفقه الأكبر"؛ لأنه يبحث في القضايا الكبرى.

ويسمى بـ "علم أصول الدين"؛ لأنه علم يبحث فيه جميع أقسام العقائد.

ويسمى بـ "علم العقيدة"؛ لانعقاد القلب عليه بحيث لا يتطرق إليه شك.

استمداده: من الأدلة اليقينية وهي: (١) الدليل النقلي [قطعي الدلالة

والثبوت من الكتاب والسنة]، (٢) والدليل العقلي.

حكم الشارع فيه: الوجوب العيني على كل مكلف بالدليل الإجمالي.

والفرض الكفائي بالدليل التفصيلي.

مسائله: قضاياها الباحثة إما من مقاصده؛ ككون الله تعالى واحداً، أو من

الوسائل؛ ككون العالم حادثاً.

* (والبعض بالبعض اكتفى): أي بعض العلماء اكتفى بمعرفة بعضها.

* (ومن درى الجميع حاز الشرفا) أي من تعرف على جميع هذه المباديء

العشر فقد حاز كمال العلم المطلوب.

التقليد في التوحيد وحكمه

التقليد: هو الاعتقاد بقول الغير من غير نظر في دليله.

وحكم التقليد في التوحيد: إن كان فيه أهلية للنظر في أدلة العقائد ولم ينظر.. فيصح إيمانه مع الإثم، وإن لم يكن فيه أهلية للنظر - كالأحمق... فيصح إيمانه مع عدم الإثم.. وهذا قول جمهور الأشاعرة.

والتقليد في التوحيد مذموم؛ لسهولة تردده وتحيزه، وقد نص الشارع الحكيم على ذم ذلك، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَٰئِكَ كَانَ أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَسْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

مثال التقليد في التوحيد

إذا كان إنسان يجزم بأن الله تعالى موجود، وإذا سئل عن الدليل يقول: لا أدري، سمعت أبي يقول ذلك فقلته، فهذا ليس عنده معرفة، وإنما عنده التقليد، وهو أخذ القول من غير معرفة دليله، وهو لا يكفي في التوحيد. (تعليق شرح السنوية)

قال سعد الدين التفتازاني في «شرح المقاصد»: فإن قيل: أكثر أهل الإسلام آخذون بالتقليد، قاصرون أو مقصرون في الإسلام، ولم يزل الصحابة ومن بعدهم من الأئمة والخلفاء يكتفون منهم بذلك، ويحجرون عليهم أحكام المسلمين، فما وجه الاختلاف، وذهاب كثير من العلماء والمجتهدين إلى أنه لا صحة لإيمان المقلدين؟ قلنا: ليس الخلاف في هؤلاء الذين نشأوا في ديار الإسلام من الأمصار والقرى والصحاري، وتواتر عندهم حال النبي ﷺ، وما أوتي به من المعجزات، ولا في

الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار، فإنهم كلهم من أهل النظر والاستدلال، بل فيمن نشأ على شاطئ جبل مثلاً، ولم يتفكر في ملكوت السموات والأرض، فأخبره إنسان بما يفترض عليه اعتقاده، فصدقه فيما أخبره بمجرد إخباره من غير تفكير وتدبر. اهـ. «غير القلاس»

أول ما يجب على المكلف معرفته

أول ما يجب على كل مكلف: هو معرفة الله تعالى والتصديق بوجوده واتصافه بصفات الكمال ونعوت الجلال وسائر أحكام الألوهية وجوباً شرعياً لا عقلياً^(١)، فالواجبات كلها - فعلاً وتركاً - توابع لها، فلا يصح واجب بدونها.

وشواهد وجوب معرفة الله تعالى مبثوثة في القرآن الكريم منها: قوله تعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سعد: ١٩]، وقوله ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبالمعرفة تتفاوت مراتب الخلق، فليس من يعلم أنه - عز وجل - عالم قادر على الجملة كمن شاهد عجائب آياته في ملكوت السموات والأرض، واطَّلَعَ على بدائع المملكة وغرائب الصنعة، مُمَعِّناً في التفصيل، ومستقصياً دقائق الحكمة، ومستوفياً لطائف التدبير، بل بينهما من البون العظيم ما لا يكاد يحصى، وفي تفاصيل ذلك ومقاديره يتفاوت الأنبياء والأولياء.

(١) والواجب الشرعي هو ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه، وعلم الثواب والعقاب مما لا يهتدي إليه العقل بمقدماته العقلية، بل لابد فيه من خبر صادق، وهو النبي.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ

(٤)﴾ [الإعلام: ١: ١١].

يبتدئ كل مؤلف كتابه بالبسملة إقتداءً بكتاب الله العزيز، وعملاً بالسنة الشريفة، والعمل بالإجماع.

فالإقتداء بكتاب الله العزيز؛ لأنه أول ما كتب في المصحف^(١).

والعمل بالسنة الشريفة.. امتثالاً لرسول الله ﷺ حيث كان يصدر كتبه بالبسملة، ولما روي في خبر «كُلُّ أَمْرٍ فِي بَالٍ»^(٢) لا يُبْدَأُ فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.. فهو أبتر^(٣) أخرجه الشيخ عبد القادر الزملي في «الاربعين»^(٤).. والمعنى: أنه ناقص غير معتبر في الشرع، وقليل البركة^(٥)، وإن تم حساً.. فلا يتم معنى.

والعمل بالإجماع.. أي الإجماع الفعلي.

(١) وأول ما نزل من القرآن.. قوله تعالى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١].

(٢) ذو بال: أي: حال يُهْتَمُّ به، بأن لا يكون محرماً لذاته ولا مكروهاً كذلك، ولا ذكراً محضاً.. كالتهيل.. ولا جعل الشارع له مبدأ آخر غير البسملة.. كخطبة الجمعة.. فإنه يُبتدأ فيها بالحمد لله.

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، ومن طريقة السمعاني في «آداب الإملاء والإستملاء»، والسبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» من حديث أبي هريرة.

(٤) وقلة البركة في كل شيء بحسبه فقلتها في التأليف.. قلة انتفاع الناس به وقلة الثواب عليه.

شرح البسملة

"الباء": بمعنى المصاحبة مع التبرك^(١).

"اسم": ما دلّ على مسمى، وهو مشتق - عند البصريين - من "السمو" وهو العلو؛ لعلو مسماه.

ومشتق - عند الكوفيين - من "وَسَمَ" بمعنى عَلَّمَ بعلامة؛ لأنه علامة على مسماه. وتحذف الألف عند إضافتها مع لفظ الجلالة (الله)؛ لكثرة استعمالها بخلاف غيرها من الأسماء مثل قوله تعالى ﴿قَسَّبْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦].
"الله": عَلَّمَ وُضِعَ على الذات، الواجب الوجود، المستحق لجميع الكمالات، المنزه عن كل نقص.

ولفظ الجلالة (الله) هو اسم الله الأعظم^(٢) عند الجمهور؛ لأنه اسم لم يطلق غيره، ولأنه ورد في جميع الأحاديث التي فيها الإشارة إلى الاسم الأعظم، ولأنه مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، ومن ثمّ أضيفت إليه.
وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنه والشعبي وابن المبارك وأبي حنيفة، وابن العربي المالكي، وإليه أشار الخطابي والقرطبي.

(١) أي: بمصاحبة اسم الله الرحمن الرحيم أولف هذا المتن متبركاً.

(٢) الاسم الأعظم: هو الاسم الجامع لمعاني صفات الله عز وجل. «تفسير التفسير».

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: وهو [أي: لفظ الجلالة "الله"] الاسم الأعظم، وعدم الاستجابة لأكثر الناس مع الدعاء به؛ لعدم استجماعهم لشرائط الدعاء.
«المنهاج القويم شرح القلعة الحضرية»

واختار الإمام النووي أن اسم الله الأعظم هو (يا حي يا قيوم) لما روي عن القاسم عن أبي أمامة أن النبي ﷺ قال «اسمُ الله الأعظمُ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ فِي سُورِ ثَلَاثٍ: الْبَقَرَةُ وَآلِ عِمْرَانَ وَطَهَ» [انخرجه ابن ماجه] قال القاسم [راوي الحديث]: التمسته منها فعرفت أنه الحي القيوم.

"الرحمن": بمعنى المنعم بجلالئل النعم [أي أصولها] كنعمة الوجود بعد العدم، والايان، والعافية، والرزق، والعقل، والسمع، والبصر.
واسم (الرحمن) لا يوصف به غيره تعالى.. قال ابن عباس ؓ: لم يُسَمَّ أَحَدٌ الرحمن غيره. [ذكره البيهقي في «الأسماء والصفات»].

"الرحيم": المنعم بدقائق النعم [أي فروعها] كالجمال، وكثرة المال، وزيادة الإيان، ووفور العقل، ودقَّة السمع، وحِدَّة البصر، وغير ذلك.
وشرع المؤلف بعد البسملة بسورة الإخلاص؛ إظهاراً للفن الذي سيكتب فيه ويخوض، وهو علم التوحيد؛ لأن السورة تدور حول إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى وعدم احتياجه إلى غيره.

أحكام البسملة

واجبة: كالفاتحة في الصلاة.. فإن البسملة واجبة فيه - عند الشافعية -؛ لكونها آية منها.. عن أنس أنه سئل عن قراءة النبي ﷺ فقال: «كَانَتْ قِرَاءَتُهُ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ «بِسْمِ اللَّهِ»، وَيَمُدُّ «الرَّحْمَنِ»، وَيَمُدُّ «الرَّحِيمِ»» [أخرجه البخاري].

محرمة: على المحرم لذاته كشرب الخمر أو أكل ميتة لغير ضرورة، بخلاف المحرم لعارض كالوضوء بماء مغصوب.. فلا تحرم البسملة بل تندب.

مندوبة: عند كل أمر ذي بال كالوضوء^(١) والأكل^(٢)، وعند دخول المنزل^(٣)، ودخول المسجد^(٤) وغير ذلك.

مكروهة: على المكروه لذاته كتنف الشيب^(٥)، بخلاف المكروه لعارض كأكل ذي ريح كريه كبصل أو الوضوء بالماء المشمس.. فلا تكره البسملة بل تندب.

مباحة: في الأشياء التي لا شرف لها كنقل المتاع من مكانٍ لآخر وكنس زبل؛ صوناً لاسمه تعالى عن اقترانه بالمحقرات وتخفيفاً على العباد.

(١) قال ﷺ «لَا وَضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرْ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ» [أخرجه أحمد].

(٢) قال ﷺ «قُلْ بِسْمِ اللَّهِ.. وَكُلْ يَمِينِكَ وَكُلْ يَمَانِكَ» [أخرجه مسلم].

(٣) قال ﷺ «بِسْمِ اللَّهِ وَلِجَنَّا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا، وَعَلَى اللَّهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا» [أخرجه أبو داود].

(٤) كان رسول الله ﷺ «إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَقُولُ: بِسْمِ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ...» [أخرجه ابن ماجه].

(٥) قال ﷺ «لَا تَتَّبِعُوا الشَّيْبَ.. فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [أخرجه الترمذي وأبو داود].

شروط ندب الابتداء بالبسملة

١. أن لا يكون في الذكر المحض ك(التهليل والتسبيح)، فإنه لا يسن ابتداؤها بالبسملة.
٢. أن لا يجعل له الشارع ابتداءً آخر غير البسملة ك(خطبة الجمعة)، فإن له ابتداءً آخر وهو "الحمد لله"، وكالأذان فإن له ابتداءً آخر وهو "الله أكبر".
٣. أن لا يكون في سفاسف الأمور ك(لبس النعل والتمخط وكنس زبل ونحو ذلك)؛ صوناً لاسمه تعالى عن اقتترانه بالمحقرات، وتخفيفاً على العباد كما ذكر سابقاً.

سبب نزول سورة الأخلاص

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رضي الله عنه أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [أخرجه أحمد في «المستدرك»، والترمذي، والبيهقي في «الأسماء والصفات»].

فضل سورة الأخلاص

عن أبي أيوب رضي الله عنه.. عن النبي ﷺ قال: «أَيُعْجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ تِلْكَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ قَرَأَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ فِي لَيْلَةٍ.. فَقَدْ قَرَأَ الْيَلِيدَ تِلْكَ الْقُرْآنَ» [أخرجه أحمد في «المستدرك»].

"الله الصَّمَدُ": الذي يصمد (يقصد) الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم.
"أَلَمْ يَلِدْ": ليس بفانٍ؛ لأنه لا شيء يلد إلا هو فانٍ.

"وَلَمْ يُؤْلَدْ": ليس بمحدث؛ لأن كل مولود إنما وجد بعد أن لم يكن، ولكنه تعالى قديم دائم، لا يزول ولا يفتى، والمعنى أنه تعالى ليس له ولد ولا والد.

"وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ" قال بعضهم: لم يكن له شبيه، ولا عدل، وليس كمثلته شيء، وفي «تفسير ابن كثير» قال مجاهد: لا صاحبة له.

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين.

"الحمد لله" الحمد لغة: الثناء باللسان على الجميل الاختياري^(١) كالكرم والحلم. واصطلاحاً: فعل ينيء عن تعظيم المنعم من حيث كونه منعماً على الحامد أو غيره. وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: الحمد لله كلمة كل شاكر، فإن آدم عليه السلام قال حين عطس: الحمد لله.

وقال الله لنوح عليه السلام ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال إبراهيم عليه السلام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقال في قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥].

(١) بخلاف الجميل غير الاختياري كجمال الوجه أو حسن اللؤلؤة فيسمى مدحاً لا حمداً.

وقال لنبية محمد ﷺ ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال أهل الجنة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر: ٣٤]. «تفسير القرطبي»

ورويت أحاديث كثيرة على لسان أشرف نبي في فضيلة الحمد منها: «الحمدُ

لله.. تَمَلُّأُ الْمِيزَانِ» [أخرجه مسلم]، وقال أيضاً «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ.. الْحَمْدُ لِلَّهِ» [أخرجه الترمذي، وقال:

حديث حسن غريب، والنسائي في «عمل اليوم والليلة»]، وقال «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدِ..

أَقْطَعُ» [أخرجه النسائي وابن ماجه، وحسنه النووي في «شرح مسلم»].

أحكام الحمد

واجب: كما في خطبة الجمعة.

محرم: عند المحرم لذاته كشرب الخمر ونحو ذلك.

مندوب: كما في خطبة النكاح، وابتداء الدعاء واختتامه.

مكروه: عند المكروه لذاته كتف الشيب.

ولم تذكر الإباحة؛ لأن أصل الحمد مندوبٌ، وما أصله التذلل لا تعتريه الإباحة.

"رب" الرب: هو المالك المتصرف.

"العالمين" جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى.

"وصلى الله: الصلاة من الله: رحمة^(١)، ومن الملائكة: استغفار^(٢)، ومن
الآدميين: دعاء وتضرع^(٣)."

تنبيهات

* يكره كتابة (ص) أو (صلعم) إختصاراً للصلاة والسلام عليه ﷺ، وقد
أشار إلى المنع من ذلك جماعة منهم الفيروزآبادي في كتاب «الصلوات والبُشر»
والسخاوي في «فتح المغيث» والسيوطي في «تدريب الراوي» والشيخ ابن حجر
الهيتمي في «الفتاوى الحديثية».

قال الفيروزآبادي: ولا ينبغي أن ترمز الصلاة كما يفعله بعض الكسالى والجهلة وعوام
الطلبة، فيكتبون صورة (صلعم) بدلاً من: صلى الله عليه وسلم. [الصلوات والبُشر] (ص ١٣٥).

وقال السيوطي: ويكره الرمز إليهما [أي: الصلاة والسلام] في الكتابة بحرف
أو حرفين، كمن يكتب "صلعم" بل يكتبها بكاملهما. [تدريب الراوي]

* تسن الصلاة على النبي ﷺ في مواضع متعددة منها: وراء الأذان، وأول
الدعاء وأوسطه وآخره، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند اجتماع القوم
في مجالسهم، وفي افتتاح الوعظ والتذكير، وعند قراءة الحديث الشريف، وعقب
الصلوات، ويوم الجمعة وليلتها، وعند خطبة الرجل المرأة في النكاح.

(١) كما جاء في قوله ﷺ لأبي أوفى عندما أتاه بصدقته «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» [أخرجه البخاري].

(٢) فقد روى أبو هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي

صَلَّى فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ» [أخرجه البخاري].

(٣) ومنه قوله تعالى «وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [التوبة: ١٠٣].

* حكم الصلاة على النبي ﷺ وعلى غيره.

قال الإمام النووي: أجمعوا على الصلاة على نبينا محمد ﷺ، وكذلك أجمع من يعتد به على جوازها واستحبها على سائر الأنبياء والملائكة استقلالاً.

أما غير الأنبياء فالجمهور على أنه لا يصلى عليهم ابتداءً، فلا يقال: أبو بكر ﷺ، واختلف في هذا المنع فقال بعض أصحابنا: هو حرام، وقال أكثرهم: مكروه كراهة تنزيه، وذهب كثير منهم إلى أنه خلاف الأولى وليس مكروهاً.

والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنه مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه من شعار أهل البدع، وقد نهينا عن شعارهم، والمكروه: هو ما ورد فيه نهي مقصود.

واتفقوا على جواز جعل غير الأنبياء تبعاً لهم في الصلاة، فيقال: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وأصحابه، وأزواجه، وذريته، وأتباعه، للأحاديث

الصحيحة في ذلك. «الأذكار» بصرف، باب: الأذكار المصلفة بالزكاة.

"وسلم" السلام لغةً: الأمان والتحية لذلك المقام الشريف.

واصطلاحاً: الأمان من جميع الآفات.

وهي هنا بمعنى التحية المقرونة بالتعظيم اللائقة بذلك المقام الكريم.

"على سيدنا" السيد: هو مَنْ ساد في قومه، أو من كثر سواده، أو الحليم الذي لا يستغزه الغضب، أو من يرجع إليه الناس عند الشدائد. وكل هذه الأوصاف مجتمعة في النبي جميل الأوصاف ﷺ.

"محمد": وهو من كثر حمد الناس له، أو من كثرت خصاله الحميدة، وهو هنا عَلِمَ على نبينا محمد ﷺ .

وهو أشهر أسماؤه وأشرفها، وأول من سماه محمداً هو جده عبدالمطلب، وقيل أمه آمنة، والمسمي له بهذا الاسم حقيقةً هو الله تعالى في علاه؛ لأنه أظهر اسمه قبل ولادته في الكتب المنزلة.. قال تعالى ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصافات: ٢٦].

وهل سمي بأحمد قبل محمد أو بالعكس؟ قال القاضي عياض بالأول (وهو أحمد)؛ لأن أحمد وقع في الكتب السابقة، ومحمد في القرآن، ولأنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وإليه ذهب الشَّهْلِي وغيره، وقال بالثاني: ابن القيم. اهـ [فتح المبيد: ٩٥/٣]

"وآله": الآل: هم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب^(١)، وقد نص على ذلك الشافعي.

وقيل: كل المسلمين التابعين له ﷺ إلى يوم القيامة^(٢).. واختاره النووي. وفصل بعضهم فقال: هم في مقام المدح.. كل مؤمن تقي كما روي «أَلْ مُحَمَّدٌ... كُلُّ تَقِيٍّ» [أخرجه الطبراني في «الأوسط» بسند ضعيف].

(١) لحديث «إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ» [أخرجه البخاري].

(٢) وليس المقصود به في مقام الزكاة، وإنما عند الصلاة على النبي وآله هل هو عام لجميع الأمة أم خاص بمن حرمت عليهم الزكاة.

وفي مقام الدعاء.. كل مؤمن ولو عاصياً؛ لأن العاصي أشد احتياجاً للدعاء.

"وصحبه": جمع صحابي: وهو من اجتمع بالنبي محمد ﷺ مؤمناً به بعد البعثة في الأرض وإن لم يره^(١)، ومات على الإيمان.

أما من ارتدّ ثم عاد إلى الإيمان كالأشعث بن قيس فتعود له الصحبة مجردة عن الثواب^(٢) عند الشافعية، ولا تعود عند الأحناف والمالكية.

ومن آمن به قبل البعثة كورقة بن نوفل^(٣) ففيه خلاف.

"والتابعين" جمع تابعي: وهو من اجتمع بالصحابي وهو مؤمن ومات على الإيمان.

وأفضل التابعين^(٤) على المعتمد ما قاله أهل الكوفة: أنه **أُويس القرني**؛ لإخبار النبي ﷺ عنه حيث قال عنه «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُويسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَمُرُوهُ فَلَيْسَتْغْفِرَ لَكُمْ**» [أخرجه مسلم].

-
- (١) كعبد الله بن أم مكتوم فقد عاش أعمى.
- (٢) **فائدة عردة الصحبة له مجردة عن الثواب**: هو كون من اجتمع عليه يقال له: تابعي، وكون ابنه كفواً لبنت الصحابي، وكونه يحشر تحت راية الصحابة. «حاشية البيهقي على ابن قاسم» (٢١/١).
- (٣) قال عنه النبي ﷺ: «**أَبْصَرْتُهُ فِي بَطْنَانِ الْجَنَّةِ.. عَلَيْهِ سُنُتُنٌ**» [أخرجه أبو يعل]. وقال بصحبته جماعة منهم: الطبري وابن قانع وابن السكن والحافظ العراقي والسراج البلقيني وغيرهم.
- (٤) وعند أهل المدينة: سعيد بن المسيّب، وعند أهل البصرة: الحسن البصري.

(وبعدُ) فهذه دروس مختصرة في علم التوحيد لتلامذة السنة الثالثة والسنة الرابعة من المدارس الابتدائية طبقاً للمنهج المقرر، والله المسؤول أن ينفع بها، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

"وبعد": كلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر^(١)، والوارد عن النبي ﷺ قوله: (أما بعد) كما روي «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَطَبَ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ» [أخرجه الطبراني في المعجم^(٢)، وذكرها في خطبه ﷺ ورَسلُه^(٣) مشهورة في الصحيحين وغيرهما.

وكلمة "وبعد" مختصرة لجملة: أما ما يأتي بعد ما قلناه فهو أن "هذه دروس مختصرة..." والمختصر: ما قلَ لفظه وكثر معناه. وهذا هو مقصود المؤلف لهذا المتن الوجيز .

وقد اشتهر الخلاف في أول من نطق بها ف قيل: آدم ﷺ، وقيل: داود ﷺ، وقيل: قُوس بن ساعدة، وقيل: سحبان بن وائل، وقيل: كعب بن لؤي، وقيل: يعرُب بن قحطان.

(١) المتقل منه هو البسملة وما بعدها، والمتقل إليه هو بيان السبب الحامل على التأليف.

(٢) منها «مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ.. سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى.. أَمَّا بَعْدُ.. فَإِنِّي

أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمَ تَسْلِمَ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، ...» [أخرجه البخاري].

علم التوحيد

علم التوحيد: هو علم يُعرف به إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية.

"العقائد الدينية": جمع عقيدة وهو الأمر الثابت في القلب الذي لا يتطرق إليه شك أو وهم لدى معتقده.

"الأدلة اليقينية" وهي الأدلة العقلية [قطعي الدلالة والثبوت من الكتاب والسنة]^(١)، والدليل العقلي.

فيخرج بالدليل اليقيني: الدليل الظني الذي يحتمل التأويل.

أقسام الأدلة الشرعية

١. **قطعي الثبوت**: وهو ثبوت الشيء بالقطع الذي لا يتطرقه شك أو تردد، كجميع آيات كتاب الله، وكذلك السنة المتواترة^(٢).. مثل حديث «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣) [متفق عليه].

٢. **قطعي الدلالة**: وهو الذي لا يحتمل أكثر من معنى.. مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإعلاص: ١].

(١) بخلاف الأدلة الظنية حيث نص جماهير الأمة من متكلمين وأصوليين ومحدثين على أن أحاديث الأحاد تفيد الظن الراجح، وأن الأحاديث المتواترة تفيد العلم والقطع، منهم الإمام الباقلاني، وابن فورك، وعبد القاهر البغدادي، والجويني، والغزالي، والفخر الرازي، والآمدي، والكمال ابن المهام، والخطابي، والبيهقي، والنووي، والسيوطي.

(٢) **الحديث المتواتر**: هو ما رواه جمع عن جمع بحيث لا يمكن تواطؤهم على الكذب.

(٣) ذكر أبو بكر البزار في «مسنده»: «أن هذا الحديث رواه ٤٠ صحابياً».

٣. ظني الثبوت: وهو أحاديث الآحاد كحديث «أَيُّنَ اللَّهِ؟» [أخرجه مسلم].

٤. ظني الدلالة وهو الذي يحتمل أكثر من معنى.. مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾^(١) [البقرة: ٢٢٨].

فبذلك يعلم أن إثبات أصول العقائد يكون بأحد أمرين:

١. بقطعي الدلالة والثبوت من الكتاب والسنة.

٢. بالدليل العقلي.

أما في فروع العقائد - كإثبات منكر ونكير - فيكون الاعتماد على الأدلة القطعية أو الظنية.

تنبيه: لو عارض الحديث الأحادي نصاً قرآنياً أو حديثاً متواتراً أو دليلاً عقلياً مبنياً على قواعد الكتاب والسنة أسقط الاحتجاج بالحديث الأحادي..

قال الحافظ ابن عبد البر في أول كتابه «التمهيد»: «واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل.. هل يوجب العلم والعمل جميعاً أم يوجب العمل دون العلم؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم [أي: من المالكية] أنه يوجب العمل دون العلم وهو قول الشافعي وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله وقطع العذر بمجيئه قطعاً ولا خلاف فيه.

(١) قال ابن بطال: القراء.. الحيض، والقراء أيضاً.. الطهر وهو من الاضداد. اهـ. [المجموع للنووي]

وقال قوم كثير من أهل الأثر وبعض أهل النظر: أنه يوجب العلم الظاهر والعمل جميعاً منهم الحسين الكرايسي وغيره، وذكر ابن خوزير منداد أن هذا القول يخرج على مذهب مالك.

قال أبو عمر [أي: ابن عبد البر]: الذي نقول به أنه يوجب العمل دون العلم كشهادة الشاهدين والأربعة سواء وعلى ذلك أكثر أهل الفقه والأثر. اهـ
وقال الإمام النووي في «المجموع»: ومتى خالف خبر الأحاد نص القرآن أو إجماعاً.. وجب ترك ظاهره.

وقال في «شرح مسلم»: واختلف في حكمه [أي: خبر الواحد الثقة]، فالذي عليه جماهير المسلمين من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول أن خبر الواحد الثقة حجة من حجج الشرع، يلزم العمل بها ويفيد الظن، ولا يفيد العلم... وأما من قال يوجب العلم فهو مكابر للحسن.

وقال ابن قدامة الحنبلي في «روضة الناظر»: القسم الثاني: أخبار الأحاد، وهي ما عدا المتواتر، اختلفت الرواية عن إمامنا في حصول العلم بخبر الواحد، فروي أنه لا يحصل به، وهو قول الأكثرين، والمتأخرين من أصحابنا.

أقسام الحكم العقلي

الحكم العقلي ثلاثة أقسام: وهي الواجب والمستحيل والجائز.

"الحكم العقلي" هو إثبات أمر لأمر^(١)، أو نفي أمر عن أمر^(٢)، من غير توقف على تكرار^(٣) أو وضع واضح^(٤).

والعقل: سر روحاني تدرك به النفس العلوم الضرورية والنظرية، ومحله: القلب - كما قاله الجمهور -، ونوره: في الدماغ، وابتدأه: حين نفخ الروح في الجنين، وأول كماله: البلوغ.

قال الإمام الجويني: **إنَّ تصوُّرَ معاني هذه الأقسام هو نفس العقل.** «تقريب البعيد»

معنى الواجب والمستحيل والجائز

«الواجب» وهو الذي لا يتصور في العقل عدمه.

فهذا تعريف الواجب العقلي، ومثاله: اتصافه تعالى بالقدرة والعلم، أو أن يشغل الجرم حيزاً من الفراغ، وملازمته لحركة أو سكون.

وقد قدّم مؤلفُ المتن الواجبَ لسببين:

أحدهما: أنه أشرف، إذ به يتصف مولانا تعالى.

الثاني: أنه إذا عُرف.. عُرف المستحيل والجائز في حقه تعالى.

(١) إثبات أمر لأمر: كإثبات الوجود والقدم لله تعالى.

(٢) نفي أمر عن أمر: كنفي الحدوث عن الله تعالى، أو نفي القدم عن الخلق.

(٣) لأنه لو توقف على تكرار لكان حكماً عادياً لا عقلياً كوجود الاحتراق عند مماسة الشيء للنار.

(٤) لأنه لو توقف على وضع واضح لكان حكماً شرعياً لا عقلياً.

«المستحيل» وهو الذي لا يُتصور في العقل وجوده.

فهذا تعريف المستحيل العقلي، ومثاله: عدم وجود خالق للعالم، أو وجود شريك لله جل وعلا، أو خلو جسم عن مكان^(١)، أو خلوه عن الحركة والسكون معاً.

«الجائز» هو الذي يُتصور في العقل وجوده وعدمه.

فهذا تعريف الجائز العقلي، ومثاله: وجود جبل من ذهب، أو الثواب للعاصي، والعقاب للمطيع^(٢).

ويجب على كل مكلف أن يعرف ما يجب في حق الله تعالى، وحق رسله عليهم الصلاة والسلام، وما يستحيل عليه تعالى وعليهم، وما يجوز في حقه تعالى وفي حقهم.

والمعنى أنه يجب على كل مكلف - إنسي أو جني - أن يتعرف على أمور محتمة عليه في مباحث هذا الفن من جهة الشرع لا العقل، فعليه معرفة الواجب والمستحيل والجائز في حقه تعالى^(٣)، وكذلك في حق الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويزاد على ذلك الإيمان بالسمعيات وهي ما لا يستقل العقل بمعرفتها، وإنما تعرف بالكتاب والسنة كالخشر والنشر والسؤال والصراط والميزان والحوض والجنة والنار كما سيأتي ذكره لاحقاً.

(١) المكان هو استقرار جرم على جرم، فالمستقر عليه هو المكان.

(٢) هذا باعتبار العقل، وأما الشرع فقد أخبر أن الطائع له الثواب والعاصي له العقاب.

(٣) وليس المراد معرفة كنه ذاته تعالى، حيث إن الشرع قد نهانا عن التفكير في ذاته.

"المكلف": هو البالغ، العاقل، سليم الخواس، بلغتة الدعوة.

مخرجات التعريف:

البالغ: خرج به: الصبي سواء كان من أبناء المسلمين أو لا.. فلا يجب عليه ولا ينعقد به، فإن مات قبل البلوغ.. فهو ناج؛ لأنه ليس بمكلف، وسئل رسول الله ﷺ: من في الجنة؟ فقال: «النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْمَوْلُودُ فِي الْجَنَّةِ» [أخرجه أحمد]، وحديث «صِبْغَاتُهُمْ.. دَعَائِمُ الْجَنَّةِ»^(١) [أخرجه مسلم].

قال الشيخ ابن حجر الهيتمي: أما في الآخرة فكل من مات قبل البلوغ من أولاد الكفار الأصليين والمرتدين في الجنة على الأصح^(٢). (تحفة المحتاج)

العاقل: خرج به: المجنون والسكران - من غير تعدد.. فلو جُنَّ أو سكر - من غير تعدد - قبل البلوغ ثم استمر حتى البلوغ ومات فهو ناج؛ لأنه ليس بمكلف، أما إن جن بعد البلوغ والحال أنه غير مؤمن، ومات على ذلك فهو غير ناج.

سليم الخواس: خرج به: ما لو خلق الله أعمى أصم فليس بمكلف.

بلغته الدعوة: خرج به: من لم تبلغه الدعوة كمن نشأ على شاطئ جبل، أو في مجاهل الغابات، أو بلغته الدعوة محرقة مشوهة بالأباطيل^(٣) فليسوا بمكلفين.

(١) قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: أي: صبغات أهلها.

(٢) وكون أولاد غير المسلمين في الجنة هو ما ذهب إليه بعض المحققين كالشكبي والنووي، وقيل بأنهم تحت المشيئة وهو رأي حماد بن زيد وابن المبارك، وقيل: بأنهم خدم أهل الجنة، وقيل: بأنهم يمتحنون في الآخرة.

(٣) قال الغزالي: إن أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى، أعني: الذين هم في أقاصي الروم والترك، ولم تبلغهم الدعوة، فإنهم ثلاثة أصناف: صنف لم يبلغهم اسم

قال البيجوري: فالمنهَب الحق أن أهل الفترة، وهم من كان في أزمته الرسل،
أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم.. ناجون، وإن بذلوا وغيرُوا أو عبدوا
الأصنام. «شرح البيجوري على الجوهرة» بصرف

وهذا مبني على أصول الأشاعرة بأن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجياً؛
لأن الواجبات كلها معلوم وجوبها بالشرع بدليل قوله تعالى ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ
وَمُنذِرِينَ لِقَلَّ يُكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقوله تعالى
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الاسراء: ١٥]، وقوله تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ
بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ
وَنَخْزَى﴾ [طه: ١٣٤].

فلا تقوم الحجة على الخلق إلا بإرسال الرسل، أما بغير ذلك فالبشر غير
محجوجين - برحمة الله وفضله - حيث لا يعذب أحداً حتى يُرسل إليه نذير.

قال الإمام السيوطي: لما دلت القواطع على أنه لا تعذيب حتى تقوم الحجة،
علمنا أنهم [أي: أهل الفترة] غير معذيين. «مسالك الحفا»

محمد ﷺ أصلاً، فهم معذرون... وصف: بلغهم اسمه ونعته، وهم المجارون لبلاد الإسلام، وهم
الكفار، وصف: بلغهم اسم محمد ﷺ، ولم يبلغهم نعته وصفته، بل سمعوا أيضاً منذ الصبا أن كذاباً
ملبساً اسمه محمد ادعى النبوة...، فهو لا عندني في معنى الصنف الأول، فإنهم مع أنهم سمعوا
اسمه.. سمعوا ضد أوصافه، وهذا لا يحرك داعية النظر في الطلب. «فيصل التفرقة» (ص ٢٥٢) بصرف

وقال الشاطبي: جرت عادته في خلقه أنه لا يؤاخذ بالمخالفة إلا بعد إرسال الرسل، فإذا قامت الحجة عليهم.. ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولكل جزاء مثله. [المواقف]

وأورد بعضهم أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار كامريء القيس.. قال عنه النبي ﷺ «صَاحِبُ لَوَاءِ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ» [خرجه أحمد]، وعمر بن لُحَيّ الخزاعي.. قال عنه النبي ﷺ «رَأَيْتُ عَمْرُو بْنَ عَامِرٍ بْنِ لُحَيٍّ الْخَزَاعِيَّ يَجْرُ قُضْبُهُ^(١) فِي النَّارِ» [خرجه البخاري]، وبعض آباء الصحابة حين سأل أحدهم النبي ﷺ وهو يخطب فقال: «أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ» [خرجه مسلم].

وأجيب على ذلك بأجوبة منها:

١. أن هذه الأحاديثهم أحاديث آحاد - أي غير متواتر - وهي تفيد الظن لا القطع، ولا تقوى على معارضة الأدلة القطعية السالفة الذكر.
٢. أو بأنه يجوز أن يكون تعذيب من صحَّ تعذيبه منهم لأمر يختص به يعلمه الله تعالى ورسوله ﷺ، ومنهم من قصر العذاب المذكور في الأحاديث على من بدَّلَ وَغَيَّرَ الشَّرَائِعَ وأحدث من الضلال ما لا يُعذر به. [مرد المريد (١٥١/١) بهصرف].

(١) قُضْبُهُ: أي: أمعاءه. [فتح الباري].

الواجب في حق الله تعالى إجمالاً

فالواجب في حق الله تعالى إجمالاً: «اتصافه بكل كمال»، فإنه خالق كل شيء، بيده ملكوت كل شيء، قديم.. فلا ابتداء لأوليته، باقٍ.. فلا انتهاء لآخريته.

ويتم الآن الشروع في القسم الأول من العقائد وهو **الإلهيات**، وقد قُدم بالتناول؛ لتعلقها بالذات الإلهية، والرب تبارك وتعالى هو المقدم على غيره؛ لشرفه، ولأن ما سواه مفرع عليه.

الواجب في حق الله تعالى تفصيلاً

والواجب في حق الله تعالى تفصيلاً عشرون صفة وهي: «الوجود، والقُدَم، والبقاء، ومخالفته للحوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانية، والقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه قادراً، وكونه مريداً، وكونه عالماً، وكونه حياً، وكونه سميعاً، وكونه بصيراً، وكونه متكلماً».

والمقصود عند أهل السنة والجماعة من تقييد الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة في حق الله إنما هو بالاستقراء والتتبع لنصوص الكتاب والسنة قطعية الثبوت والدلالة، وصحيح العقول، وأنها عشرون صفة أصولية، أو ثلاث عشرة - على خلاف بينهم^(١)..

(١) عشرون صفة على ما اختاره السنوسي [في «أم البراهين»] ومن تبعه، وثلاثة عشر صفة على ما

اختاره أبو الحسن الأشعري وغيره من المحققين.

وأما ما لم تُذكر فمآلها إلى إحدى هذه الصفات الأصولية، فهذا التقييد تعليمي؛ لقصر العقول عن حصر صفات الله تعالى، والأصل الذي ينبغي أن يعلق في الأذهان هو: أن ما لا يتناهى لا يحيطه ما يتناهى، وأسماؤه الله تعالى وصفاته لا يحيط بها أحد على التحقيق؛ لقوله ﷺ «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمِيَ بِهِ نَفْسِكَ، أَوْ عَلِمَتْهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أُنْزِلَتْهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْذِنَتْ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ» [أخرجه أحمد].

أما الصفات الكمالية الأخرى التي لم تذكر فإن مآلها إلى إحدى هذه الصفات - غالباً -؛ فمثلاً قوله تعالى ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْحَقِيرُ﴾ [سبا: ١٠] فالحكمة والخبرة تؤولان إلى العلم، والعزة في قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] تؤول إلى القدرة.. وهكذا.

المستحيل في حق الله تعالى إجمالاً

والمستحيل في حق الله تعالى إجمالاً: «كل نقص»، والمعنى أن كل صفة تدل على النقص في حق الله تعالى ولا تليق بجلاله وعظمته، فهي منفية عنه ومستحيلة عليه تعالى، وذلك كالعدم والعجز والجهل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فإثبات الواجبات لله تعالى يستلزم منه نفي المستحيلات عنه قطعاً، إذ يستحيل أن يكون موجوداً وغير موجود أو قادراً وغير قادر أو عالماً وغير عالم؛ لأنه لو جاز.. لجاز اجتماع التقيضين وهذا باطل.

المستحيل في حق الله تعالى تفصيلاً

والمستحيل في حق الله تعالى تفصيلاً عشرون صفة وهي: «العدم، والحدوث، والفناء، ومماثلته للحوادث، واحتياجه تعالى إلى غيره، والتعدد، والعجز، والكراهة، والجهل، والموت، والصمم، والعمى، والبكم، وكونه تعالى عاجزاً، وكارهاً، وجاهلاً، وميتاً، وأصم، وأعمى، وأبكم.. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً».

فيستحيل على الله تعالى تفصيلاً ضد الصفات العشرين الواجبة المذكورة آنفاً في حقه، فهو منزّه عن العدم والحدوث والفناء ومماثلته للحوادث واحتياجه لغيره والتعدد والعجز والإكراه والجهل والصمم والموت والعمى والبكم، وكونه تعالى عاجزاً، ومكرهاً، وجاهلاً، وميتاً، وأصم، وأعمى، وأبكم.

الجائز في حق الله تعالى

والجائز في حق الله تعالى صفة واحدة وهي: «فعل كل ممكن أو تركه»، فيجوز في حقه تعالى فعل ما يشاء من الممكنات، وترك ما يشاء منها.

"والجائز في حق الله تعالى صفة واحدة وهي: «فعل كل ممكن أو تركه»" فكل ما كان في دائرة الإمكان يجوز عقلاً على الله تعالى فعله أو تركه، ولا يجب عليه عقلاً فعل شيء منه، ولا يستحيل عليه عقلاً ترك شيء منه، بل يفعل منه ما شاء، ويترك ما شاء، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ويسمى كل فعل من أفعاله تعالى شأناً له.. قال تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي: كل وقت هو في شأن، أي: أمر يظهره على وفق ما قدره وأراده في الأزل من إيجاد وإعدام وإعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وإعطاء سائل وإجابة داع وغير ذلك من شؤونه عز وجل.

فلو وجب عليه تعالى فعل شيء من الممكنات عقلاً أو استحالة عليه تعالى فعل شيء من الممكنات عقلاً.. لانقلب الممكن الذي صح في العقل وجوده وعدمه واجباً لا يتصور في العقل عدمه.

فلو وجب عليه بعض الممكنات عقلاً.. لزم أن تنقلب كلها واجبة، أو استحالة بعضها عقلاً.. لزم أن تنقلب كلها مستحيلة، وذلك باطل لا يتصور في العقل وجوده؛ لأنه يؤدي إلى الجمع بين النقيضين؛ لأنه بالنظر لكونه ممكناً يقبل الوجود والعدم، وبالنظر لكونه واجباً لا يقبل إلا الوجود فقط، وبالنظر لكونه

مستحيلاً لا يقبل إلا العدم فقط، وكون الشيء الواحد يقبل الأمرين ولا يقبل إلا واحداً تناقض وهو باطل. «هليلب السنوية» (ص ٩٦)

ملاحظة: إذا وجب عليه البعض وجب الكل، وإذا استحال البعض استحال الكل؛ لأنه لا فرق بين ممكن وممكن؛ لأنه ما ثبت للأمر ثبت لمثيله. «هليلب السنوية» (ص ٩٦)

ومثال الجائز: أن يوجد زيداً ويجعله طويلاً أبيض اللون، أو يؤلم الأطفال والبهائم، أو يسعد من يشاء ويشقى من يشاء^(١).

(١) فهو القادر الخالق لكل شيء خيراً وشرّاً.. قال تعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وللعبد في أعماله الكسب والاختيار الذي لا ينكره المكتسب.. قال تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ [المثور: ٣٨]، وعلى هذا الكسب طلب منه التوبة من الذنب والإقلاع والندم، واستحق التعزير والحدود، والعقاب على المعصية والثواب على الطاعة. فإن نفى أحد خلق الله تعالى لأفعال العباد للزم منه وقوع شيء في الكون قهراً عليه تعالى وهو لا يريده، وهذا محال.

وبخصوص خلق الله تعالى للشرور فإنه وإن كان تعالى خالقاً لها إلا أنه لا تُنسب إليه أدباً معه، كما قال ﷺ في دعائه إرشاداً لأمته ﴿وَأَقْرِضْ كُلَّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ﴾ [أمرجه مسلم].. وقد ذكر النووي للحديث عدة تأويلات منها:

١. قال النضر بن شميل: **أَنَّ الشَّرَّ لَا يُقْرَبُ بِهِ إِلَيْكَ.**
٢. لا يضاف إليك أدباً.. فلا يقال: يا خالق الخنازير، وإن كان هو خالقها.
٣. ليس شرّاً بالنسبة إلى حكمتك، فإنك لا تخلق شيئاً عبثاً. [الأذكار: بصرف.]

"فيجوز في حقه تعالى فعل ما يشاء من الممكنات، وترك ما يشاء منها" ولا يجوز في حقه تعالى فعل الممكنات جميعاً دفعة واحدة؛ لأنه يؤدي إلى فراغ قدرة الله تعالى - أي: عدم قدرته تعالى على إيجاد ممكن آخر؛ لأنه قد أوجده، إضافةً إلى أنه يلزم من وجود الممكنات دفعةً واحدة اجتماع النقيضين، كالحركة والسكون في آن واحد في مكان واحد، وهذا محال.

وسيم الآن الشروع في القسم الأول من العقائد وهي **الإلهيات**؛ لتعلقها بالله تعالى وهو المقدم على غيره؛ لشرفه، فإن العلم يشرف بشرف معلومه، ولأن ما سواه مفرّج عليه.

= وقول إبراهيم الخليل **﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَتَذَكَّرُ عَلَيَّ﴾** [الشعراء: ٧٨-٨٠]، فأسند الهداية والإطعام والسقاء إلى الله تعالى بالنظر إلى حقيقة الحال وهو أنه تعالى الفاعل الموجد، وأسند المرض إلى نفسه ولم يقل أمرضني؛ تأدباً.

معنى الوجود ودليله

معنى الوجود.. أن ذات الله تعالى موجودة لا معدومة، والمراد: الوجود الذاتي الواجب الذي لا يقبل العدم، لا أزلاً ولا أبداً^(١)، بخلاف وجودنا فإنه بفعله تعالى، ويقبل العدم.

و ضد الوجود: العدم، فالعدم صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

ابتدأ المؤلف بصفة "الوجود"؛ لأن ما بعدها من الصفات متعلقة بها، فلا تُعرف الذات إلا بها، ففي عدها من الصفات تسامح باعتبار أن الذات توصف بها في اللفظ فيقال: ذات الله موجودة.

الفرق بين وجود الله تعالى ووجودنا

وجود الله تعالى: ذاتي.. واجب الوجود، وليس بفعل فاعل، ولا يقبل العدم.

وجودنا: غير ذاتي.. جائز الوجود، وبفعله تعالى، ويقبل العدم.

وقد اتفق أهل الملل على وجود الصانع، إذ إن وجوده تعالى أمر بديهي، لا ينبغي أن يتحدث فيه أهل الإيمان نفيّاً أو إثباتاً، فالاعتراف به ضروري من القضايا المسلمة الراسخة في الفطر السليمة، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع، ولكنها تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم، ولم يخالف في ذلك بإنكار الصانع سوى شذمة قليلة ممن انحرفت فطرتهم من الدهرية الذين قالوا: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع، وما يهلكنا إلا الدهر.

(١) الأزل في جانب الماضي، والأبد في جانب المستقبل.

والحق أن من عنده أدنى مسكة من عقل إذا أدار نظره على عجائب ملكوت الله.. علم أن هذا الترتيب المحكم لا يستغني عن صانع مدبر، إذ تشهد النفوس بكونها مقهورة تحت تسخيرته تعالى، ومصرفة بمقتضى تدبيره، والملاحظون يريدون أن ينسبوا هذا الإتقان في الخلق والتدبير إلى الطبيعة، وأن كل ما يشاهدونه إنما هو من قبيل الصدفة.

قال الفخر الرازي: الإقرار بوجود الصانع بديهي، وهو أن الفطرة شاهد بأن حدوث دار منقوشة بالنقوش العجيبة مبنية على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند وجود نقاش عالم وبان حكيم. «تفسير الرازي» بصرف.

الأدلة النقلية على صفة الوجود

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا...﴾ [المجادلة: ٧].

يمحى أن أبا حنيفة جادل بعض الملاحدة القائلين بأن العالم موجود بلا موجد وقال لهم: أجيئوني عن مسألة.. ما تقولون في رجل يقول: إني رأيت سفينة مشحونة بالأحمال، مملوءة بالأثقال، قد كانت في وسط الأمواج المتلاطمة العالية للبحر والرياح المختلفة وهي رغم ذلك تسير مستوية وليس لها ملاح يقودها ولا

متعهد يدفعها هل يجوز ذلك في العقل؟! فقالوا جميعاً: لا.. هذا شيء لا يقبله العقل.

فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجوز في العقل أن تجرى سفينة في البحر مستوية من غير متعهد ولا ملاح؟! فكيف يجوز قيام الدنيا بكل ما فيها على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكتافها من غير صانع ولا حافظ؟! فأفحمهم وأسلموا كلهم. اهـ

وسأل أناسُ الإمام الشافعي: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: ورقة الفرصاد [أي: التوت] طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟ قالوا: نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، ويأكلها الطباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟! «تفسير القحط الرأزي»

معنى القدم ودليله

معنى القدم: أن الله تعالى قديم أزلي، لا ابتداء لأوليته، ولا افتتاح لوجوده بخلاف قدمنا.
وضد القدم: الحدوث، فالحدوث صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

القدم^(١) نفت عن الله تعالى الحدوث وهو الوجود بعد العدم.

فقدم الحق تعالى ذاتي أزلي لا ابتداء لأوليته، ولا افتتاح لوجوده، وما سوى الله وصفاته حادث.

ولا يصح أن يسأل عنه سبحانه وتعالى بـ«متى كان؟»؛ لأن كل من يتناوله هذا السؤال يكون وجوده مخصوصاً بزمان مطلوب تحديده من الإجابة، وبالتالي فإن وجوده مسبوقٌ بعدم، وهذا يناقض كونه واجب الوجود.

أما قدم الحوادث فإنها هو قدم زماني وهو طول مدة الوجود، كأن تقول: (هذا البناء قديم)، أو قدم إضافي، كقدم الأب على الابن، ولوجوده افتتاح وبداية. وقد ثبت إطلاق لفظ القديم على الله تعالى بالإجماع^(٢)، وأن معناه هو نفس معنى «الأول» الذي ليس قبله ولا معه شيء.

الفرق بين قدم الله تعالى وقدمنا

قدم الله تعالى: ذاتي.. ليس له بداية.

قدمنا: زماني، له بداية.

(١) الموجود إما قديم أو حادث، فالقديم هو الله، والحادث هو كل ما سواه.

(٢) نقله الإمام الزبيدي في «تحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين» (٢/ ٢١).

الأدلة النقلية على صفة القدم

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣].

تتمة الآية ﴿وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

ومن الأدلة الدالة أيضاً على قدم الله تعالى ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المارج: ٤٩].

وقال ﷺ «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ» [أخرجه البخاري]، وفي رواية «وَلَا شَيْءٌ غَيْرُهُ»^(١)

[أخرجه البخاري].

وكان النبي ﷺ إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَيُوجِّهُهُ الْكَرِيمِ

وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» [أخرجه أبو داود].

(١) قال البيهقي: وقوله: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» يدل على أنه لم يكن شيء غيره، لا الماء ولا

العرش ولا غيرهما. «الأسماء والصفات»

معنى البقاء ودليله

معنى البقاء: أن الله تعالى مستمر البقاء والدوام، فلا انتهاء لأخريته؛ لأنه تعالى هو الأول بلا بداية، والآخر بلا نهاية.
و ضد البقاء: الفناء، فالفناء صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

"البقاء" ينفي عن الله تعالى الفناء، فالحق تعالى لا آخر لوجوده، كما أنه لا أول لوجوده، فهو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء.
ولو جاز عليه تعالى العدم بعد الوجود.. لاستحال في حقه القدم؛ لأن كل ما ثبت قدمه.. استحال عدمه.

وصفة البقاء وسائر الصفات الأخرى لا تعلق لها بالزمان بخلاف بقاء الحوادث فهو زمني؛ لأن بقاءه تعالى ذاتي، لا يجوز عليه التغير أصلاً، فلا يتصور العقل عدمه؛ لأنه لو اقترن بالزمان.. لجاز عليه العدم بعد الوجود وهذا باطل.
وصفة البقاء التي تتصف بها بعض المخلوقات كالجنة والنار وأهلها والعرش والكرسي وعجب الذنب فهو استمرار الوجود مع جواز لحوق العدم، وأن بقاءها إنما هو بإبقاء الله تعالى لها.

الموجودات من جهة البقاء على أقسام:

١. لا أول له ولا آخر.. وهو ذات الله وصفاته.
٢. لا أول له وله آخر.. وهو عدمننا الأزلي، فينتهي بوجودنا.
٣. له أول ولا آخر.. وهو الدار الآخرة (وما فيها من مخلوقات).
٤. له أول وآخر.. وهو ذات (بقية) المخلوقين وصفاتهم. «نور الظلام» بمصرف

وذكر مَنْ لا يعتدُّ به بانقطاع العذاب عن أهل النار الذين هم أهلها من المشركين والكفار مستدلين برواية البزار عن عبد الله بن عمرو بن العاص موقوفاً: «يَأْتِي عَلَى النَّارِ زَمَانٌ يَخْفَقُ أَبُوَابِهَا، لَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ»، وهذا مذهب متروك وقول مهجور، لا يُصاو إليه ولا يعول عليه.

قال المناوي في «فيض القدير»: وهذا خللٌ بين، فإن المراد: من الموحدين، كما يبيِّنُهُ رواية ابن عدي (في «الكامل») عن أنس مرفوعاً «لَيَأْتِينَ عَلَى جَهَنَّمَ يَوْمَ تَضْطَرُّقُ أَبُوَابِهَا، مَا فِيهَا مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ أَحَدٌ».

وتكلم الإمام عبد الله بن علوي الحداد على ذلك فقال: وليس لهم حجة في ذلك الحديث مهما قلُّر أنه صحيح؛ لأن النصوص من الكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر، الغير قابلة للتأويل لا تصادم بمثل ذلك الخيال. «الفاصل الطرية»

أما رواية الحسن البصري عن عمر أنه قال: «لَوْ لَبِثَ أَهْلُ النَّارِ فِي النَّارِ حَدَدَ زَمَلٍ عَالِجٍ لَكَانَ هُمْ يَوْمَ يَخْرُجُونَ فِيهِ» [أخرجه عبد بن حميد في «تفسيره»]، ففي هذا السند انقطاع كما قاله الحافظ ابن حجر^(١)؛ لأن الحسن لم يسمعه من عمر.

الأدلة النقلية على صفة البقاء

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦].

وقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨].

(١) وقال الحافظ ابن حجر: وهذا الأثر عن عمر لو ثبت.. مُل على الموحدين. «فتح الباري»

معنى مخالفته للحوادث ودليلها

معنى مخالفته للحوادث: عدم مماثلته تعالى لشيء من المخلوقات،
فليس كذاته ذات، ولا كصفته صفة، ولا كفعله فعل.
و ضد المخالفة للحوادث: المماثلة لها، فالمماثلة لها صفة مستحيلة في حق
الله تعالى.

"مخالفته للحوادث" تنفي عن الله تعالى مماثلته لها.

والحدوث: هو الوجود بعد العدم.

والمعنى أن ذاته تعالى وصفاته مخالفة لكل حادث (مخلوق) ^(١)، وكل ما يلزم
عن ذلك كالتحيز والتركيب والكبر والصغر ونحو ذلك.

أما عندما تقول عن الله تعالى بأنه رحيم، وعن زيد بأنه رحيم، فإنها هو من
باب الاشتراك في الاسم فقط، فالرحمة عند إضافتها إلى الحادث تكون بمعنى:
ميل في القلب يقتضي التفضل والإحسان، وأما عند إضافتها إلى القديم سبحانه
وتعالى فهي إرادة التفضل والإحسان، وشتان ما بينهما.

قال الإمام الغزالي: لا يعرف أحد حقيقة علم الله عز وجل إلا مَنْ له مثل
علمه، وليس ذلك إلا له، فلا يعرفه أحد سواه، وإننا يعرفه غيره بالتشبيه بعلم

(١) إن الله جعل بعض العالم ساكناً كالسماوات السبع والعرش، وجعل بعض العالم متحركاً دائماً وهي
النجوم، وجعل بعض العالم متحركاً تارة وساكناً تارة كالملائكة والإنس والجن والدواب؛ فكيف
يصح أن يوصف الخالق بأحدهما، فلو كان متصفاً بأحدهما لكان له أمثال كثير وذلك ينافي قوله
تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. «المقالات السنية» للشيخ عبد الله المحمدي.

نفسه، ... وعلمُ الله عز وجل لا يشبه علم الخلق البتة، فلا يكون معرفة الخلق به معرفة تامة حقيقية، بل إيهامية تشبيهية. «المقصد الأسرى»

وأما بخصوص الأدلة التي ظاهرها يوهم التشبيه لله تعالى فإن لأهل السنة والجماعة فيها طريقتين:

الطريقة الأولى: التفويض.. وهو صرف اللفظ عن ظاهره الموهم مع تفويض معاني هذه التشابهات إلى الله وحده، وهو مذهب أغلب السلف^(١)، وهو أسلم وأولى بالإتباع كما قال بعض المحققين.

ويعمل أصحاب هذه الطريقة: أن تعين المراد من هذه التشابهات إنما يجري على قوانين اللغة واستعمالات العرب، وهي تفيد الظن، وصفات الله تعالى من العقائد التي لا يكفي فيها الظن، بل لابد فيها من اليقين، ولا سبيل إليه، فلزم التوقف، وإيكال التعيين إلى الله تعالى.

الطريقة الثانية: التأويل.. وهو صرف اللفظ عن ظاهره الموهم مع بيان المراد منه بما تحمله لغة العرب من معاني تفيد التنزيه لله تعالى، وهو مذهب أغلب الخلف [أي: ما بعد القرون الثلاثة الأولى]، وهو أحكم وأكثر ثبوتاً؛ لما فيه من إزالة الشبهة وإقامة الحجة وإقناع العقل.

(١) السلف: هم أهل القرون الثلاثة الأولى، والخلف: هم ما بعد القرون الثلاثة الأولى.

ومال العز بن عبد السلام إلى ترجيح طريق الخلف حيث قال: هي أقرب الطريقين إلى الحق. وعلى ذلك إمام الحرمين الجويني وابن دقيق العيد والسعد التفتازاني وبرهان الدين اللقاني.

ويعلل أصحاب هذه الطريقة: أن المطلوب صرف اللفظ عن مقام الإهمال الذي يوجب الحيرة بسبب ترك اللفظ لا مفهوم له، وما دام في الإمكان حمل كلام الشارع على معنى سليم.. فالنظر قاضٍ بوجوبه انتفاعاً بما ورد عن الحكيم العليم، وتنزيهاً له عن أن يجري مجرى العجوز العقيم.

وعلى كلتا الطريقتين فيجب تنزيه الله تعالى عن المعنى الظاهر للنصوص الموهمة للتشبيه، غير أن السلف طريقتهم التأويل الإجمالي، فينزهون الله تعالى عن ظواهر النصوص الموهمة، ويفوضون علم معانيها مفصلة إلى الله تعالى، والخلف طريقتهم التنزيه مع التعرض للتأويل، وذلك بتعيين معنى صحيح من المعاني التي يحتملها النص بقرينة ما.

قال الإمام القرطبي في «تفسيره»: وقد عُرف أن مذهب السلف.. ترك التعرض لتأويلها مع قطعهم باستحالة ظواهرها، فيقولون: أمروها كما جاءت. وذهب بعضهم إلى إبداء تأويلاتها، وحملها على ما يصح حمله في اللسان عليها، من غير قطع بتعيين مجمل منها.

وقال الإمام النووي في «المجموع»: «اختلفوا في آيات الصفات وأخبارها، هل يخاض فيها بالتأويل أم لا؟ فقال قائلون: تتأول على ما يليق بها.. وهذا أشهر المذهبين للمتكلمين.

وقال آخرون: لا تتأول.. بل يمسك عن الكلام في معناها ويوكل علمها إلى الله تعالى، ويُعتقد مع ذلك تنزيه الله تعالى وانتفاء صفات الحوادث عنه، فيقال مثلاً: نؤمن بأن الرحمن على العرش استوى ولا نعلم حقيقة معنى ذلك، والمراد به: مع أنا نعتقد أن الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وأنه منزّه عن الحلول وسمات الحدوث، وهذه طريقة السلف أو جماهيرهم (وهي أسلم) إذ لا يطالب الإنسان بالخوض في ذلك، فإذا اعتقد التنزيه.. فلا حاجة إلى الخوض في ذلك والمخاطرة فيما لا ضرورة، بل لا حاجة إليه، فإن دعت الحاجة إلى التأويل لرد مبتدع ونحوه تأولوا حيثل، وعلى هذا يحمل ما جاء عن العلماء في هذا والله أعلم.

تنبيه: اختلف هل التشابه مما يمكن الاطلاع على علمه أو لا يعلمه إلا الله تعالى؟ على قولين منشؤهما الاختلاف في قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ هل هو معطوف على لفظ الجلالة، و﴿يَقُولُونَ﴾ حال؟ أم أن ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مبتدأ، وخبره ﴿يَقُولُونَ﴾ والواو للاستئناف؟

فعلى الأول (العطف على لفظ الجلالة) طائفة يسيرة منهم ابن عباس في رواية عنه، ومجاهد والضحاك، واختار هذا القول: الإمام النووي في «شرح مسلم»

حيث قال: إنه الأصح؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته. وقال ابن الحاجب: أنه الظاهر.

أما الأكثرون من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن بعدهم خصوصاً أهل السنة فذهبوا إلى الثاني (الابتداء) وهو أصح الروايات عن ابن عباس، وأبي بن كعب وعائشة. «الإيمان» بصرف

✽ التأويل نوعان:

(أ) **التأويل المحمود**: إن كان عن علم ودراية وتنزيه لله تعالى ودفع لشبهة التشبيه إذا تماشى مع لغة العرب، وهو المراد من قول النبي ﷺ لابن عباس «اللَّهُمَّ فَكِّهْ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» [خرجه أحمد]

(ب) **التأويل المذموم**: إن كان عن غير علم وكان فيه تحريف وزيادة ومخالفة للنصوص القطعية مع تشبيه الله بخلقه ونحو ذلك.

عن سليمان بن يسار: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: صَبِيغٌ^(١) [بن عَسَل] قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ^(٢)، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ.. صَبِيغٌ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجُونًا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ فَضَرَبَهُ

(١) صَبِيغٌ بوزن عظيم، بن عَسَل بمهملتين، ويقال بالتصغير. «الإصابة في تمييز الصحابة».

(٢) العراجين: جمع عرجون، وهو العود الأصفر الذي فيه الشاريخ إذا ييس واعوج.

وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ.. عُمَرُ. فَجَعَلَ لَهُ صَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ..
حَسْبُكَ قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي. [الخروج: الدارمي]

أمثلة على بعض النصوص التي يوهم ظاهرها التشبيه

* ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٢٨].. أي ذات ربك كقوله ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] قال مجاهد: أي: يبقى ربك. «تفسير القرطبي»، وقال القرطبي في «تفسيره»: «ويبقى الله، فالوجه: عبارة عن وجوده وذاته سبحانه... وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا: ابن فورك وأبو المعالي وغيرهم. وقال ابن عباس: الوجه عبارة عنه. اهـ

* ﴿وَلَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٢٩] و﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].. فإنه لا يلمح منها إلا معنى الحفظ والرعاية، وليس المعنى بأنه حالٌ تعالى فيه، فهو منزّه عن ذلك كله، ولا يقول بذلك عاقل.

قال البغوي في «تفسيره»: ﴿وَاصْنَعِ الْقُلُوكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [معد: ٣٧] قال ابن عباس: بمرأى منا، وقال مقاتل: بعلمنا، وقيل: بحفظنا. اهـ.

وقال القرطبي في «تفسيره»: «ويكون جمع الأعين للعظمة لا للتكثير.

فالعين تطلق على اعتبارات عدة منها: الباصرة [جراحة العين]، والجارية [عين الماء]، والمضيئة [عين الشمس]، والنقد من المال، والjasوس، والحفظ والإحاطة وغيرها.

* ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١) [فتح: ١٠].. قال البغوي في «تفسيره»: قال ابن

عباس: يد الله بالوفاء بها وعدمهم من الخير فوق أيديهم. اهـ، وأول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: (اليد) هنا بمعنى العهد.

قال القرطبي في «تفسيره»: قيل: يده في الثواب فوق أيديهم في الوفاء، ويده في المنّة عليهم بالهداية فوق أيديهم في الطاعة... وقال ابن كيسان: قوة الله ونصره فوق قوتهم ونصرهم. اهـ

* ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [النار: ٤٧] أي: بقوة، كما قاله ابن

عباس ومجاهد وقتادة. «تفسير الطبري»

* حديث «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكَلَّمَا يَكُنِيهِ يَمِينٌ» [عرجه سلم] قال أبو العباس القرطبي في «المفهم»: وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ أي: أصحاب المنزل الرفيعة. وقيل غير هذا في الآية، وقد شهد العقل والنقل: أن الله تعالى منزّه عن مماثلة الأجسام، وما جاء في الشريعة بما يروهم شيئاً من ذلك فهو توسّع واستعارة حسب عادات مخاطبتهم الجارية على ذلك.

وقد توسّعت العرب في اليمين، فأطلقوه ولا يريدون به يمين الجارحة، بل الجهة المحمودة...

(١) اليد في كلام العرب قد تكون للجارحة، وتكون للنعمة، وتكون للقوة، وتكون للملك والقدرة،

وتكون بمعنى التأييد والنصرة. «تفسير القرطبي» بصرف.

«وَكَلَّمَا يَدَيْهِ يُعِيبُ» أي: كُلُّ مَا تُسَبِّحُ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَرِيفٌ، محمودٌ، لَا نَقْصَ

يُتَوَهَّمُ فِيهِ، وَلَا قُصُورَ. اهـ بتصرف

وما أحسن قول الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» حين قال: وقع ذكر اليد في القرآن والحديث مضافاً إلى الله تعالى، واتفق أهل السنة والجماعة على أنه ليس المراد باليد.. الجارحة التي هي من صفات المحدثات، وأثبتوا ما جاء من ذلك وآمنوا به، فمنهم من وقف ولم يتأول، ومنهم من حمل كل لفظ منها على المعنى الذي ظهر له، وهكذا عملوا في جميع ما جاء من أمثال ذلك. اهـ

* ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢].. قال ابن عباس رضي الله عنه: عن كرب وشدة «تفسير القرطبي»، وذكر ذلك الفراء وابن قتيبة وابن الجوزي، فالساق كناية عن شدة الهول، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق. والأصل فيه: أن من وقع في شيء يحتاج فيه إلى الجلد.. شمر عن ساقه، فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشدة.

* ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].. قال الإمام

أحمد: ﴿يَأْتِيَهُمُ﴾ المراد به: قدرته وأمره. اهـ ذكره القاضي أبو يعلى،

* حديث «... فَلَا يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالْدُّخُولِ

فِيهَا» [متفق عليه].. قال أبو العباس القرطبي في «المفهم»: الضحك من خواص البشر، وهو تغير أوجه سرور القلب بحصول كمال لم يكن حاصلًا قبل، فتثور من القلب حرارةٌ ينسبط لها الوجه، ويضيق عنها الفم، فينفتح، وهو التبسم، وذلك

كله على الله محال، لكن لما كان دلالة عندنا على الرضا ومظهره له غالباً، عبر عن سببه به.

وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»: وقد تأول البخاري الضحك في موضع آخر على معنى الرحمة، وهو قريب، وتأويله على معنى الرضا أقرب، فإن الضحك يدل على الرضا والقبول.

* حديث «خُذُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» [متفق عليه]..
قال الإمام النووي: قال المحققون: معناه: لا يعاملكم معاملة المأل، فيقطع عنكم ثوابه وجزاءه، ويسقط فضله ورحمته حتى تقطعوا عملكم. «شرح مسلم»

وفي «النهاية في غريب الحديث»: وقيل: معناه: أن الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملؤا سؤاله. فَسَمَّى فعل الله ملأ على طريق الازدواج في الكلام. اهـ

* الحديث القدسي «... وَإِنْ أَتَانِي يَمَشِي.. أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» [متفق عليه].. قال الكرماني: المعنى: من تقرب إلي بطاعة قليلة.. جازيته بثواب كثير، وكلما زاد في الطاعة.. أزيد في الثواب. «فتح الباري»

* «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» [٥٥: ٢٦] قال ابن عمر: أي استوى أمره وقدرته فوق برئته. [مسند الربيع ٣/ ٢٣٥]

فجمهور السلف قطعوا بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة، ولا يخاض في تأويل الآية على التفصيل، بل يفوض علمها إلى الله تعالى، وأوله جماعة من السلف والخلف.

حيث إن **للاستواء**^(١) معنيين، إحداهما: قريب، وهو الاستقرار.. تعالى مولانا عن ذلك؛ لتنزهه عن مشابهة المخلوقات، فيصرف إلى معنى آخر تقبله اللغة ويحتمله السياق، ولا يمنع منه العقل ولا الشرع.

والآخر: بعيد، وهو الاستعلاء عليه بالقهر والغلبة.. وهذا - إن أولناه بذلك - أقرب للمراد من الآية ونحوها كقوله تعالى ﴿وَمَوْ قَاهِرُ فَرْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، فبيّن أن علوّه واستواءه بالقهر لا بالارتفاع، فما دام أنه تعالى قاهر للعرش وهو أعظم المخلوقات، فمن باب أولى ما دونه من المخلوقات.

ويجوز أن يكون المراد من استوائه تعالى على العرش.. كمال قدرته في تدابير الملك والمملوك، وجريان مشيئته.

وكونه تعالى مستوياً على العرش بالمعنى الظاهر يقتضي كون العرش محيطاً به، فيكون أصغر من العرش، وذلك محال.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام: **إن الله تعالى خلق العرش إظهاراً لقدرته لا مكاناً لذاته.** «الفرق بين الفرق» للشيخ عبد القاهر البغدادي.

(١) للاستواء عدة اعتبارات في اللغة.. منها: القصد.. قال تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، والاستقرار.. قال تعالى ﴿وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، والاستقامة.. قال تعالى ﴿فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، ويأتي بمعنى: النضج كقولك: استوى الطعام، وكذلك بمعنى العلو والصعود والملك وغيرها من الاعتبارات.

وقال الإمام مالك: الاستواء.. غير مجهول، والكيف.. غير معقول، والإقرار به.. واجب، والسؤال عنه.. بدعة. «الأسماء والصفات» لليبتي

وسئل الإمام الأوزاعي عن تفسير الآية فقال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كما قال. «شرح البيهقي على الجوهري»

وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن الاستواء فقال: استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر. «شرح البيهقي على الجوهري»، والخضني في «دفع شبه من شبه وتمرد، ونسب ذلك على السيد الجليل أحمد»

وقال ابن جرير الطبري عن قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: 29]: علوُّ مُلك وسُلطان، لا علوُّ انتقال وزوال. «تفسير الطبري»

* ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: 50] فالمقصود منه: فوقية قهر كما في «تفسير الجلالين» أي: عالياً عليهم بالقهر.

* ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [الماعج: 4].. قال القرطبي في «تفسيره»: أي: إلى المكان الذي هو محلهم وهو في السماء؛ لأنها على بره وكرامته.

* وقوله ﴿يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟...﴾ [أخرجه البخاري].. قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: تأولوا هذا الحديث بتأويلين:

أحدهما: تأويل مالك بن أنس وغيره، معناه: تنزل رحمته وأمره وملائكته^(١) كما يقال: فعل السلطان كذا إذا فعله أتباعه بأمره.

(١) وأخرجه النسائي بلفظ «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْهَلُ حَتَّى يَمْغِي فَطَرُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ ثُمَّ يَأْمُرُ مُتَأَوِّلًا يَنَادِي يَقُولُ: هَلْ مِنْ دَاعٍ... يُسْتَجَابُ لَهُ؟...»

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللفظ.

* حديث الجارية عن هلال بن أبي ميمونة^(١) عن عطاء بن يسار عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال «... يَا رَسُولَ اللَّهِ.. أَفَلَا أُعْرِقُهَا؟ قَالَ: انْتَهِي بِهَا. فَأَتَيْتُهَا بِهَا، فَقَالَ لَهَا: (أَيْنَ اللَّهُ؟) قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: (مَنْ أَنَا؟) قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ: أُعْرِقُهَا فَأَيُّهَا مُؤْمِنَةٌ» [أخرجه مسلم].

والجواب أن متن الحديث فيه اضطراب^(٢) من هذا الطريق، فقد جاءت الرواية بلفظ (مَنْ فِي السَّمَاءِ؟) من طريق سعيد بن زيد عن توبة العنبري عن عطاء بن يسار قال: حدثني صاحب الجارية... «فَعَمَدَ النَّبِيُّ يَدُهُ إِلَيْهَا مُسْتَهِيمًا: (مَنْ فِي السَّمَاءِ؟) قَالَتْ: اللَّهُ...» أي: دون أن يقول لها (أَيْنَ اللَّهُ؟).

وبلفظ (أَتَشْهَدِينَ) عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء: «أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ لَهُ جَارِيَةٌ... فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ائْتِنِي بِهَا. فَسَأَلَهَا النَّبِيُّ ﷺ: (أَتَشْهَدِينَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟) قَالَتْ: نَعَمْ. (وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟) قَالَتْ: نَعَمْ. (وَأَنَّ الْمَوْتَ وَالْبَعْثَ حَقٌّ؟) قَالَتْ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ: اعْتِقِ أَوْ أَمْسِكِ» [أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»]

-
- (١) قال عنه المزني في «تهذيب الكمال»: ... قال النسائي: ليس به بأس. اهـ قال يعقوب بن سفيان الفسوي في «المعرفة والتاريخ»: هلال ثقة.. حسن الحديث.. يروي عن عطاء بن يسار أحاديث حسناً.
- (٢) الحديث المضطرب: هو الحديث الذي يروى من قبل راوٍ واحد أو أكثر على أوجه مختلفة متساوية،

لا مرجح بينها، ولا يمكن الجمع. «منهج النقد» (ص ٤٣٣)

وجاءت رواية «**أَتَشْهَدِينَ**» كذلك من طريق الإمام مالك في «الموطأ» عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، ومن طريق عبد الرزاق في «المصنف» عن مَعْمَرٍ عن الزهري عن عبيد الله، ومن طريقه رواه الإمام أحمد في «المسند».

وللفظ «**أَتَشْهَدِينَ؟**» شواهد عدة منها :

ما أخرجه الدارمي في «السنن» عن أبو الوليد الطيالسي، عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشريد قال: «**أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ عَلَى أُمِّي رَقَبَةً، وَإِنَّ عِنْدِي جَارِيَةً سَوْدَاءَ تُؤَيِّدُ أَفْتَجِرُ عَنْهَا؟** قَالَ: **اذْعُ بِهَا.** فَقَالَ: (أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟). قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: **اعْتِقِهَا فَإِنَّهَا مُؤَمِّنَةٌ.**

وأخرجه البزار والطبراني في «الكبير» عن ابن أبي ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**أَتَى رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ عَلَى أُمِّي رَقَبَةً وَعِنْدِي أَمَةٌ سَوْدَاءُ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أَتَشْهَدِينَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟) قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَاعْتِقِهَا.** قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» عن هذا السند: فيه محمد بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ، وقد وثق.

«تفصيح الفهوم العالية» بصرف

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» عن الشريد بن سويد الثقفي قال: «**قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ.. إِنَّ أُمِّي أَوْصَتْ أَنْ نُعْتَقَ عَنْهَا رَقَبَةٌ وَعِنْدِي جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ.** قَالَ: **أُذْعُ بِهَا فَجَاءَتْ، فَقَالَ: (مَنْ رَبُّكِ؟) قَالَتْ: اللَّهُ. قَالَ: (مَنْ أَنَا؟) قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ.** قَالَ: **اعْتِقِهَا.. فَإِنَّهَا مُؤَمِّنَةٌ.**

وروى هذا اللفظ من طريق حماد عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن الشريد:
النسائي في «الصغرى» وفي «الكبرى»، وأحمد في «مسنده»، والطبراني والبيهقي.
وبعد استقراء الروايات والنظر في كلام العلماء يتبين أن هناك تصرف من
الرواة في ألفاظه، فروي بلفظ «أَيَّنَ اللهُ؟»، وبلغظ «مَنْ فِي السَّمَاءِ؟»، وبلغظ
«أَتَشْهَدِينَ؟» وله شواهد.

وعلى هذا فإن المعهود من حال النبي ﷺ أنه كان يأمر الناس ويقاثلهم ويختبر
إيمانهم بالشهادتين، فالأصل لمعرفة الإيمان هو السؤال عن الشهادتين بدليل
«أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ...»
[متفق عليه]، قول النبي ﷺ لأبي هريرة ؓ بعدما أعطاه نعليه: «اذْهَبْ بِتَعْلِي هَاتَيْنِ
فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَاظِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَقِينًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ
بِالْجَنَّةِ...» [أخرجه مسلم].

حكم معتقد الجهة: لا يكفر كما قاله أبو الحسن الأشعري، ونقله عنه العز بن
عبد السلام في «القواعد» ورجحه، وكذلك حكم الإمام الغزالي في «فيصل
التفرقة»، وتبعهم الشمس الرملي في «فتاواه».
وقيده الشيخ ابن حجر الهيتمي في «تحفة المحتاج» بكونه من العامة، ونقل
البيجوري في «شرح الجوهرة» ذلك عن الإمام النووي.
ونقل أيضاً تفصيل بعضهم فقال: إن اعتقد جهة العلو.. لم يكفر، أو اعتقد
جهة السفل.. كفر؛ لأنها جهة دناءة وخسة.

وبعد هذا السرد المختصر لبعض النصوص التي صرفها العلماء عن ظاهرها؛ لإيهامها المشابهة والمماثلة، فلك الرجوع إلى كتب التفسير وشروح الحديث، وتنظر هناك تفويضهم، أو تأويلهم للنصوص المتشابهة، ونقلها إلى معانٍ أخرى تقبلها اللغة ويحملها السياق، ولا تنافي التنزيه، ولا تمنع منها العقل ولا النقل.

الأدلة النقلية على صفة مخالفته للحوادث

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]

قال الإمام الغزالي: أنه - تعالى - ليس بجسم مصور، ولا جوهر محدودٍ مقدر، وأنه لا يماثل الأجسام، لا في التقدير ولا في قبول الانقسام، وأنه لا يماثل موجوداً، ولا يماثله موجود، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ولا هو مثل شيء، وأنه لا يحده المقدار، ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات.

«إحياء علوم الدين» بصرف

معنى قيامه بنفسه ودليله

معنى قيامه بنفسه: عدم احتياجه تعالى إلى شيء يقوم به، أو محل يحل فيه^(١)، أو مخصص يخصصه، أو موجد يوجده، بل هو الغني عن كل شيء. و ضد قيامه بنفسه: احتياجه إلى غيره، فاحتياجه إلى غيره صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

"قيامه بنفسه" تنفي عنه تعالى صفة قيامه بالغير واحتياجه له، والمعنى أنه مستغن في ذاته عن الوجود كله بما فيه، وأن الوجود كله مفتقر إليه^(٢).

وعدم احتياجه تعالى إلى "محل يحل فيه" أي ذات يقوم بها؛ لأن الله لو حلَّ في شيء.. لكان صفةً له، ولو كان صفةً له.. لم يصح وصفه بصفات المعاني والمعنوية؛ لأن المعنى لا يقوم بمعنى، ومولانا عز وجل يجب اتصافه بهما، فليس بصفة، بل هو ذات لا تشبه الذوات، وصفاته لا تشبه الصفات. «هليلب السنوسية»

"أو مخصص^(٣) يخصصه" على حال دون حال؛ لأنه يلزم أن يكون قبل التخصيص على هيئة معينة، فيجوز أن يقبل هيئةً أخرى، وإذا ثبت ذلك.. ثبت أنه من الممكنات، وهذا باطل؛ لما يلزم عنه من الحدوث والاحتياج إلى الغير، ولو

(١) الاستغناء عن المحل: أي عدم افتقاره تعالى لذات يقوم بها.

(٢) الافتقار: هو توقف كمال الذات على غيره.

(٣) المراد بـ "المخصص": أي فاعل وموجد يخصصه بالوجود بدلاً عن العدم. «هليلب السنوسية»

كان حادثاً لافتقر إلى محدث، ولا يمكن ذلك؛ لثبوت وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث.. تعالى الله عن ذلك وتقدس.

تنبيه: معلوم مما تقدم أن ذاته تعالى مستغنية عن المحل [أي: الذات] وعن المخصّص. وأن صفاته تعالى مستغنية عن المخصّص، ولكنها قائمة بذاته تعالى، ولا يعبر عن صفاته تعالى بالافتقار إلى الذات؛ لما فيها من إيهام وسوء أدب.

ذوات الحوادث مفتقرة إلى المخصّص [وهو الله تعالى] لا المحل [أي: الذات].

وصفات الحوادث مفتقرة إلى المحل [أي: الذات] وإلى المخصّص.

الأدلة النقلية على صفة قيامه بنفسه

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، وقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [عمد: ٣٨].

وقوله تعالى ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [إعلاص: ٢]، وقوله تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ

الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

معنى الوجدانية ودليلها

معنى الوجدانية: عدم التعدد، فهو واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله.

و ضد الوجدانية: التعدد، فالتعدد صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

"الوجدانية" تنفي التعدد والمشاركة والمناظرة والمماثلة والمشابهة ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً.

"فهو واحد في ذاته": أي: (أ) أن ذاته تعالى ليست متصلة بعضها ببعض، ولا مركبة من أجزاء.

(ب) كما أنه إله واحد لا يوجد معه إله آخر.

"وواحد في صفاته" أي: (أ) أنه تعالى ليس له صفتان من جنس واحد كأن يكون لله تعالى قدرتان مثلاً أو إرادتان.

(ب) وليس لغيره صفة تشبه صفاته، كأن يكون لمخلوق قدرة تشبه قدرة الله.

"وواحد في أفعاله" أي ليس لغيره تعالى أي تأثير في فعل من الأفعال على وجه الخلق والإيجاد من العدم، وإنما على وجه الكسب والاختيار، صيانةً لجانب الإلهية والملك عن وصمة المنازعة والشرك.. قال تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

وليس للعبد في أفعاله إلا مجرد الكسب والاختيار.. قال تعالى ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ

عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

فليس في الوجود فعل لغيره عز وجل، بل هو تعالى الفاعل لجميع الأفعال، وما يظهر من الأفعال على يد الخلق إنما لهم فيها الكسب، وهو مقارنة القدرة الحادثة للفعل [الحادث] عند وجوده، فإذا أراد الإنسان فعلاً - كالقيام مثلاً - فالله تعالى هو الذي يخلق ذلك القيام، ويخلق لذلك العبد قدرة تصاحبه عند وجوده، وتلك القدرة لا تأثير لها في القيام، وإنما هي مصاحبة له، وهكذا جميع الأفعال.

تنبيه: لا تأثير للأسباب العادية في مسبباتها، فلا تأثير للنار في الحرق، ولا للطعام في الشبع، ولا للسكين في القطع، وهكذا.

فمن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بنفسه.. فلا نزاع في كفره.

ومن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بقوة أودعها الله فيه فهو فاسق مبتدع، كمن اعتقد أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرة أودعها الله فيه.

ومن اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها، وإنما المؤثر هو الله تعالى، لكن بينها وبين مسبباتها تلازم عقلي، فمتى وجدت النار - مثلاً - وجد الحرق، فهو جاهل بحقيقة الحكم [العادي]، وربما جرّه ذلك إلى الكفر، لأنه يؤديه إلى إنكار الأمور الخارقة للعادة كمعجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكبعث الأجسام؛ لكونها مخالفة للعادة.

أما من اعتقد أنه لا تأثير لشيء منها، وأنه لا تلازم بينها وبين مسبباتها [فالنار سبب للإحراق^(١)]، بأن اعتقد صحة التخلف [وأن بينهما تلازماً عادياً^(٢)] بحيث يصح الانفكاك [فيمكن أن يوجد السبب ولا يوجد المسبب.. فهذا رأي أهل السنة. «مطلب السنوية» (ص ٦٩) بصرف

وتعتبر صفة الوجدانية أهم الصفات، وهي لباب علم التوحيد، وإليه يرجع فروع هذا العلم، ولذا يسمى هذا العلم بها، فما أنزلت الكتب وما بُعث الرسل إلا لإثبات وجدانية الله، فهي الصفة التي وقع في اعتقاد ضدها بعض الخلق كالنصارى القائلين ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [الله: ٧٣]، واليهود القائلين ﴿عَزَّزَ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠]، والمجوس الذين يعبدون إلهين [إلهاً للخير، وآخر للشر]، والبوذيين الذين يعبدون بوذا.

-
- (١) النار محرقة، أمر مشاهد، فإذا تركنا العقل يفكر ويتأمل في العلاقة [والنسبة] بين النار والإحراق، فإنه لا يرى أي ارتباط عقلي بينهما إلا إذا تكررت لديه في المشاهدة العادية للموجودات...، أما العقل بذاته فلا يرى مانعاً عقلياً من أن تكون النار غير محرقة لو وجدت في الواقع كذلك، أو أن تكون المواد التي تلامسها النار فتحرقها غير قابلة للإحتراق. «مرباط المعرفة» (ص ٣١٨) بصرف
- (٢) بأن الله تعالى يخلق الإحراق عند ملاقة النار، والقطع عند إمرار السكين، والري عند شرب الماء.

الأدلة النقلية على صفة الوجدانية

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الأنعام: ١٧٩].

وقوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢٠] ومعنى ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾:

غير الله. والمقصود: نفي الألوهية عما سوى الله.

قال الإمام الغزالي: أنه تعالى في ذاته واحد، لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، منفرد لا ند له، وأنه واحد قديم لا أول له، أزلي لا بداية له، مستمر الوجود لا آخر له، أبدي لا نهاية له، قيوم لا انقطاع له، دائم لا انصرام له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنعوت الجلال، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. «إحياء علوم الدين» بصرد

معنى القدرة ودليها

القدرة: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يوجد بها ما يشاء، ويعدم بها ما يشاء على وفق الإرادة والعلم.

و ضد القدرة: العجز، فالعجز صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

لا يتناول هذا التعريف كنه حقيقة الصفة؛ لأنه لا يعلم كنه ذاته وصفاته تعالى إلا هو، وشرع المصنف في صفات المعاني بصفة القدرة؛ لظهور تأثيرها. يتأتى بالقدرة إيجاد كل ممكن [أي جائز سواء أكان موجوداً أو غير موجود] وإعدامه، وهي مقسمة إلى ستة أقسام مجموعة في بيتين وهي:

الممكنات المتقابلة^(١) :

وَجَدْنَا وَالْعَدَمُ، الصَّفَاتُ^(٢)

أزمنة^(٢)، أمكنة^(٣)، جهات^(٤)،

کذا المقادیر^(۱) روى الثقات

والمعنى: أن القدرة لها تعلق بالممكنات فقط، فليس لها تعلق بالواجبات ولا بالمستحيلات؛ لكونها خارجة عن وظيفتها وهي الإيجاد والإعدام، وليس نقصاً وعجزاً في صفة القدرة، بل لو تعلقت القدرة بهما.. للزم الفساد.

(١) **المقابلات:** المتنافيات.

(٤) أمكنة: ككونه في الشام يقابل كونه في اليمن.

(٢) الصفات: كالأبيض يقابل الأسود.

(٥) **جهات:** كالمشرق يقابل المغرب.

(۳) آزمونه: کز من الطوفان یقابل، زمن نبینا محمد ﷺ.

(٦) المقادير: كالطويل يقابل القصير.

وتفصيل ذلك أن صفة القدرة لو تعلقت بالواجب.. فإما أن توجده وإما أن تعدمه:
فمن حيث إيجاده فهو موجود أصلاً.. فصار تعلق القدرة به تحصيل حاصل.
ومن حيث إعدامه فهو محال؛ للزوم انقلاب حقيقة الواجب إلى جائز.. فصار
تعلق القدرة فيه مجرد عبث.

والمثال على عدم تعلق القدرة بالواجبات: ذات الله تعالى.
وأما لو تعلقت القدرة بالمستحيل.. فإما أن توجده وإما أن تعدمه أيضاً:
فمن حيث إيجاده فهو محال؛ للزوم انقلاب حقيقة المستحيل إلى جائز.. فصار
تعلق القدرة فيه مجرد عبث.

ومن حيث إعدامه فهو معدوم أصلاً.. فصار تعلق القدرة به تحصيل حاصل.
والمثال على عدم تعلق القدرة بالمستحيالات: شريك مع الله.

وقد شنع السنوسي في «شرح (السنوسية) الصغرى» على ابن حزم في قوله:
إن الله قادرٌ على أن يتخذ ولداً وإلا كان عاجزاً، فيلزم من كلام ابن حزم أن الله
قادرٌ على إعدام قدرته، بل وعلى إعدام ذاته، وفي ذلك غاية الفساد، والحق أن
قدرة الله تعالى لا تتعلق بالمستحيل أصلاً؛ لأن المستحيل لا يقبل الوجود بحال.

"على وفق الإرادة": أي أن إيجاد الله تعالى للممكن وإعدامه له على وفق تعلق إرادته به؛ لأنه تعالى لا يوجد أو يعدم بقدرته إلا ما أراد وجوده أو عدمه من الممكنات، وتخصيصها بما يجوز عليها.

وهذا يعلم أن تعلق القدرة فرع عن تعلق الإرادة، أي: تابع له ومتأخر عنه في التعقل لا في الزمن، بمعنى أن العقل لا يدرك قادراً إلا مريداً.

"والعلم": أي على وفق تعلق العلم، بمعنى أن الله تعالى لا يوجد إلا ما أراد تعالى تخصيصه بالوجود، وما أراد الله تعالى ذلك إلا لكونه عالماً بما يريد منكشفاً له.

وتخصيص الله تعالى الممكن على وفق تعلق علمه تعالى به؛ لأنه تعالى لا يخصص بإرادته إلا ما علم من الممكنات، فكل ممكن علم الله تعالى أنه يكون أو لا يكون فذلك مراده.

فيتلخص من ذلك أن تخلُّف القدرة عن تعلقها بالواجبات والمستحيلات العقلية ليس بعجز ولا قصور، حيث إنها ليسا من وظيفتها.

ويلزم من تعلقها بهما.. أن يتقلب كلُّ من الواجب والمستحيل ممكناً، وهذا قلب للحقائق، كما أنه بحسب ما تثبته العقول السليمة والنظر العقلي عند وضع احتمالات تعلق القدرة بالواجبات والمستحيلات لا يستقيم ذلك عقلاً، ويلزم منه الفساد.

الأدلة النقلية على صفة القدرة

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦].

قال القرطبي في قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: ومعناه عند المتكلمين: فيما

يجوز وصفه تعالى بالقدرة عليه. اهـ «تفسير القرطبي» أي: من الممكنات.

قال الإمام الغزالي: وأنه - تعالى - المنفرد بالخلق والاختراع، المتوحد بالإيجاد

والإبداع، خلق الخلق وأعمالهم، وقدر أرزاقهم وآجالهم، لا يشذ عن قبضته

مقدور، ولا يعزب عن قدرته تصاريف الأمور، لا تحصى مقدوراته، ولا تنهاى

معلوماته. «إحياء علوم الدين»

معنى الإرادة ودليلها

الإرادة: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يخصص بها الأمر الممكن ببعض ما يجوز عليه من الوجود والعدم، والأزمنة والأمكنة، والجهات والصفات، فلا يكون كائن في الأرض ولا في السماء إلا بقضائه تعالى وإرادته.
و ضد الإرادة: الكراهة، فالكراهة صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

وقد أرجى الحديث عن صفة الإرادة عقب القدرة رغم أن تعلق الإرادة قبل تعلق القدرة؛ لأن تأثير صفة القدرة في الممكنات أظهر من تأثير صفة الإرادة، حيث إن إبراز الممكنات بالفعل إلى ساحة الوجود.. دليل على القدرة، وإرادة إظهار الممكنات بوجه معين دون سائر الوجوه.. دليل على الإرادة.

"يخصص بها الأمر الممكن": كزيد مثلاً .

"ببعض ما يجوز عليه": بأن يخصصه بالوجود بدلاً عن العدم، وبالغنى بدلاً عن الفقر، وبكونه أبيض بدلاً عن كونه أسود، وبكونه في هذا الزمن بدلاً عن كونه في زمن الطوفان، وبكونه في مكة بدلاً عن كونه في مصر وهكذا.

الفرق بين الإرادة والرضا

الرضا: قبول الشيء والإثابة عليه.

والإرادة تغاير الرضا بأن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع من الكفار، فإنه تعالى أراد وقوعه ولكنه لا يرضى به.. أي أنه لا يثيب عليه.. قال تعالى ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٢٧].

الأدلة النقلية على صفة الإرادة

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿فَعَالٌ لَّما يُرِيدُ﴾ [مؤد: ١٠٧].

وقوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٧].

قال الإمام الغزالي: وأنه تعالى مرید للكائنات، مدبر للحداثات، فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير، صغير أو كبير، خير أو شر، نفع أو ضرر، إيمان أو كفر، عرفان أو نكر، فوز أو خسران، زيادة أو نقصان، طاعة أو عصيان، إلا بقضائه وقدره، وحكمته ومشيته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا يخرج عن مشيته لفئة ناظر، ولا فلتة خاطر، بل هو المبديء المعيد، الفعال لما يريد. «إحياء علوم الدين»

معنى العلم ودليله

العلم: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تنكشف له تعالى بها الأشياء من جميع الوجوه انكشافاً تاماً من غير سبق خفاء^(١).

فهو سبحانه وتعالى ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [المراد: ٥].

وضد العلم: الجهل، فالجهل صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

تتعلق صفة العلم بالواجبات والمستحيلات والجزاءات تعلق إحاطة وانكشاف من غير سبق خفاء.

وعلمه تعالى بجميع المعلومات الواجبة والمستحيلة والجزاءة على سبيل التفصيل من الأزل ولم يسبقه جهل ولا خفاء، بخلاف علمنا فيبغض المعلومات، ويسبقه جهل وخفاء.. قال تعالى ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥].

فعلمه تعالى محيطٌ بالكلييات والجزئيات، ولم يكن سبباً لشيء، فهو يعلم بتفاصيل الأشياء، بخلاف علمنا فإنه محيط ببعض الكليات والجزئيات فقط.

والعلم إما قديم وإما حادث، فالقديم هو الذي لا يسبقه خفاء، وهو علم الله تعالى، والحادث هو الذي سبقه خفاء، وهو إما ضروري بديهي أو نظري.
فالضروري": ما لا يتوقف فيه على نظير واستدلال، بل يدركه العقل بلا تأمل.

(١) المراد بـ"الانكشاف" هنا: الظهور والاتضح وعدم الخفاء، لا حقيقة الانكشاف وهو ظهور الشيء

بعد خفائه؛ لأنه يلزم منه سبق الجهل وهو مستحيل في حقه تعالى.

والنظري^(١): ما يتوقف فيه على نظري واستدلال، ويدركه العقل بعد تأمل.

وقد ورد في كتاب الله تعالى ما يوهم حدوث علمه تعالى أو أنه مكتسب كقوله تعالى ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [التكوير: ١٧] وهذا ما يتبادر للذهن من الوهلة الأولى، لكن إذا علم أنه يلزم من ذلك.. ثبوت الجهل عليه، والصانع لهذا العالم بإرادته واختياره بهذا الاتقان يستحيل عليه ذلك، ثم إذا تأملنا في الآية وتفحصناها نجد أن يراد بها: ليظهر لهم متعلق علمه تعالى [أي: لنعلمهم] حتى تقوم عليهم الحجة، فاللام للعاقبة^(٢) وليست للتعليل.

وكذلك قوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّيهِ بِالْآخِرَةِ بِمَنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ [سبا: ٢١] بمعنى: إلا ليعلم حزبنا وأولياؤنا من النبيين والمؤمنين، كما يقول الملك: فتحنا البلدة الفلانية بمعنى: فتحها أولياؤنا.

(١) الضروري كقولك: الواحد نصف الاثنين. والضروري على أقسام: (أ) الواجب الضروري:

كالتحيز للجسم. (ب) والمستحيل الضروري: كخلو الجسم عن التحيز. (ج) والجائز الضروري: كحركة الجسم أو سكونه.

(٢) النظري كقولك: الواحد نصف سدس الاثني عشر. والنظري على أقسام: (أ) الواجب النظري:

كصفات الله تعالى. (ب) والمستحيل النظري: كإثبات النقائص لله تعالى. (ج) والجائز النظري: كإثابة العاصي وتعذيب المطيع.

(٣) لام العاقبة، كقوله تعالى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

رَبَّنَا (ل) جِئْتَهُمْ بِسَبِيلٍ﴾ [يونس: ٤٨] أي ليكون عاقبة أمرهم ومصيرهم أنهم يضلون عن سبيل الله. وكذلك قولهم: "أعنت لي موت" أي قدر الله له أن يعتق لي موت.

قال الجنيد: علم الحق ما كان، وما يكون، وما لا يكون أن لو كان كيف كان يكون. «الرسالة القشيرية»

الأدلة النقلية على صفة العلم

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقوله تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وقوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقول الخضر لموسى عليه السلام ﴿مَا عَلَّمْتُكَ وَعِلْمِي وَعِلْمُ الْخَلَائِقِ فِي عِلْمِ اللَّهِ إِلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا الْعَصْفُورُ مِنْقَارُهُ فِي الْبَحْرِ﴾ [أخرجه البخاري].

قال الإمام الغزالي: وأنه عالم بجميع المعلومات، محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، بل يعلم ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، ويدرك حركة الدرة في جو الهواء، ويعلم السر وأخفى، ويطلع على هواجس الضمائر، وحركات الخواطر، وخفيات السرائر، بعلم قديم أزلي، لم يزل موصوفاً به في أزل الأزال، لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال. «إحياء علوم الدين»

معنى الحياة ودليلها

الحياة: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، تقتضي بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والسمع والبصر والقدرة وغيرها من الصفات التي تتوقف على الحياة.

وحياته تعالى أبدية سرمدية، ذاتية ليست بواسطة شيء، بخلاف حياتنا. وضد الحياة: الموت، فالموت صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

حيث يلزم من عدم اتصافه بصفة الحياة عدم اتصافه بالعلم والسمع والبصر والقدرة وغيرها من الصفات التي تتوقف على الحياة.

الفرق بين حياة الله تعالى وحياتنا

حياة الله تعالى: أبدية سرمدية، وذاتية ليست بسبب شيء.

حياتنا: ليست أبدية، ويسبب روح أوجدها الله فينا.

والسبب في إثبات صفة الحياة لله تعالى رغم أن إثبات صفة الوجود والبقاء يفهم منه حياته؛ لكون الحياة صفة مذكورة في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، كما أنه من المعلوم بأنه ليس كل موجود حياً.. فالجمادات - مثلاً - موجودة مع انتفاء الحياة منها.

وكذلك ليس كل باقي حياً.. كالعرش والكرسي - مثلاً - باقية مع انتفاء الحياة منها، فلذلك لزم التصريح بإثبات صفة الحياة.

ويعلم مما سبق أنه بانتفاء صفة الحياة تنتفي جميع الصفات، إذ لا يتصور أن ميتاً يخلق ويرزق ويريد، فيلزم من عدم إثبات حياته.. عدم اتصافه بالقدرة

والإرادة والعلم وغيرها، فيلزم منه عدم وجود شيء من الحوادث، وهذا محال؛
لأنه خلاف المشاهد.

الأدلة النقلية على صفة الحياة

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [هاجر: ٦٥]، وقوله
تعالى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقوله تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].
وعن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول «أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ» [أخرجه البخاري].

معنى السمع ودليله

السمع: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ينكشف له تعالى بها كل موجود من غير سبق خفاء، وسمعه تعالى بغير صماخ ولا أذن.
و ضد السمع: الصمم، فالصمم صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

تتعلق صفة السمع بالموجودات^(١) تعلق انكشاف من غير أن يسبقه خفاء، فيعلم من ذلك أن كل موجود قابل لأن يُسمع.

"وسمعه تعالى بغير صماخ ولا أذن"؛ لأن الصماخ والأذن وغيرها من الجوارح إنما تتعلق بالحوادث، والحق تعالى مخالف لها.

الفرق بين سمع الله تعالى وسمعنا

سمع الله تعالى: ينكشف به كل موجود، ولم يسبقه خفاء، وسمعه بغير جارحة.
سمعنا: ينكشف بعض المسموعات فقط، ويسبقه خفاء، وسمعنا بجارحة.

الأدلة النقلية على صفة السمع

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قوله تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦].

(١) تتعلق صفة السمع بالموجودات وهو ما اعتمده الشيخ الأشعري والسنوسي فتشمل كلاً من المسموعات والذوات والألوان والروائح وغيرها؛ لأنه لو اختص سمعه بالأصوات فقط لاحتاج إلى تخصيص يخصه، وعدم سماعنا لبعض ذلك بناء على أنه الله تعالى لم يخلق في العبد سمعها بطريق جري العادة، لا بناء على امتناع سماعها عقلاً، وقال سعد الدين التفتازاني بأنها تتعلق بالمسموعات فقط. والمسألة من دقائق فروع العقيدة.

وقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾
[الإسراء: ٤٤].

وقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَسَيِّمُ
يَكْتُبُونَ﴾ [الزمر: ٨٠].

وقوله ﷺ «أَرَبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ.. إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا.. إِنَّكُمْ تَدْعُونَ
سَمِيعًا قَرِيبًا» [متفق عليه].

معنى البصر ودليله

البصر: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، ينكشف له بها جميع الأشياء انكشافاً غير انكشافي العلم والسمع.
وبصره تعالى بغير حدة ولا أجفان، فهو سبحانه وتعالى يرى حتى النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويسمع دبيبها.
و ضد البصر: العمى، فالعمى صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

تتعلق صفة البصر بالموجودات^(١) تتعلق إحاطة وانكشاف من غير سبق خفاء، فيعلم من ذلك أن كلَّ موجود قابل لأن يُبصر.

وانكشاف البصر غير انكشاف السمع، وكلُّ منهما غير انكشاف العلم، وحقيقة ذلك مفوّض إلى الله تعالى علمها، وليس الأمر على ما نعهده من أن المشاهدة تفيد وضوحاً فوق العلم؛ لأن جميع صفاته تعالى تامة كاملة يستحيل عليها الخفاء والزيادة والنقص.

وسمِعُ الحقَّ سبحانه وتعالى وبصره لا يختلف من مكان لآخر، فسمعه وبصره لنبي الله يونس عليه السلام وهو في قعر البحر كسمعه وبصره لنبينا محمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج.

(١) تتعلق صفة البصر: بالموجودات، وتشمل الموجودات كلاً من المبصرات والمسموعات والروائح وغيرها على ما اعتمده الأشعري والسنوسي، خلافاً للسعد التفتازاني القائل بتعلق صفة البصر بالمبصرات فقط. والمسألة من دقائق فروع العقيدة.

الأدلة النقلية على صفة البصر

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقوله تعالى ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الشعراء: ٢١٨].

وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤].

قال الإمام الغزالي: أنه تعالى سميعٌ بصير، يسمع ويرى، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، ولا يحجب سمعه بُعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، يرى من غير حدة وأجفان، ويسمع من غير أصمخة وآذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، إذ لا تشبهه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق. «إحياء علوم الدين»

معنى الكلام ودليله

الكلام: صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، دالة على الواجبات والمستحيلات والجائزات، وكلامه تعالى نفسي قديم، ليس بحرف ولا بصوت، ولا لسان ولا شفتين، ولا فم ولا حلق، ولا يوصف بعربي ولا سرياني ولا غيرهما من اللغات الحادثة. وضد الكلام: الخرس، فالخرس صفة مستحيلة في حق الله تعالى.

كلام الله تعالى يطلق على معنيين عند أهل السنة

١. الكلام النفسي القديم.. وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، فهو صفة له قائمة بذاته كسائر صفات المعاني.

٢. الكتب المنزلة على الرسل^(١).. بواسطة جبريل.. فذلك مخلوق حادث، ولكن من الأدب أن لا يقال بأنه "مخلوق" إلا في مقام التعليم.

"دالة على الواجبات والمستحيلات والجائزات" كلام الله تعالى نفسي يتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات تعلق دلالة، فدلالة كلام الله على الواجبات هو ذات الله وصفاته كقوله ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [المصدر: ٢٢]، ودلالاتها على المستحيلات هو النقائص في حق الله تعالى كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢٠]، ودلالاتها على الجائزات هو ذوات الحوادث وصفاتهم كقوله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

(١) فهو كلام الله بحسب الدلالة لا بالحلل، إذ لا يفهم من ذلك أن صفته الأزلية القديمة القائمة به حلت في الأوراق.

والكلام غير العلم، إذ قد يخبر الإنسان عما لا يعلمه، بل يعلم خلافه، وغير الإرادة؛ لأنه قد يأمر بما لا يريده، كمن أمر عبده قصداً لإظهار عصيانه وعدم امتثاله لأوامره، ويسمى هذا كلاماً نفسياً.

وكلام الله تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها، لكن لها أقسام اعتبارية في الذهن: فمن حيث تعلقه بطلب فعل.. فهو أمر، ومن حيث تعلقه بطلب ترك.. فهو نهي، ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا.. فهو خبر، ومن حيث تعلقه بأن المؤمن له الجنة.. فهو وعد، ومن حيث تعلقه بأن الكافر له النار.. فهو وعيد وهكذا.

فكلام الله تعالى النفسي صفة ذاتية له، وكل ما هو صفة ذاتية له.. فهو قديم، فينتج من ذلك أن كلام الله تعالى قديم.

والكلام بالحقيقة كلام النفس، وإنما الأصوات قُطعت حروفاً؛ للدلالات، كما يدل عليها تارة بالحركات والإشارات.

ولا يُستغرب من حصول كلام نفسي بلا حرف ولا صوت، فإن العاقل إذا راجع نفسه وطالع ذهنه.. وجد كلاماً يجول في قلبه، تارة يكون إخباراً عن أمور رآها على هيئة وجودها، أو سمعها من مبتدئها إلى منتهاها على وفق ثبوتها، وتارة يكون حديثاً مع نفسه بأمر ونهي ووعد ووعد لأشخاص على تقدير وجودهم ومشاهدتهم، وهذا كله بلا حرف ولا صوت.

"ليس بحرف ولا بصوت ولا يوصف بعربي ولا سرياني ولا غيرهما من اللغات الحادثة" والسبب في أن كلام الله القديم ليس بحرف ولا صوت ولا

لغة: هو أن الحروف والأصوات واللغات أعراض حادثة، وفيها تقدم وتأخر، وصفات الله تعالى منزّهة عن التقديم والتأخير والتقسيم والسكوت والحدوث والتغير، وكذلك ينيني على إثبات أن كلام الله بحروف وأصوات.. أنه تعالى يوجد ويعدم حروفاً وأصواتاً في ذاته، وهذا باطل.

أما كلامنا فهي بحروف وأصوات ولغات، وفيه تقدم وتأخر ونحو ذلك، حيث إن ذلك من سمات الحوادث.

أما الكلام اللفظي^(١) في الكتب السماوية المقدسة فهو دالٌّ على بعض مدلول الكلام النفسي القديم بدلالة الالتزام^(٢) بحسب العرف، إذ كل مَنْ أُضيف له كلام لفظي.. دل عرفاً على أن له كلاماً نفسياً، وقد أُضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله قطعاً^(٣)، فدلّ التزاماً على أن له تعالى كلاماً نفسياً، وهذا الكلام النفسي هو الصفة الأزلية القائمة به.

قال القاضي الباقلاني: مما يدل على أن حقيقة الكلام هو المعنى القائم بالنفس من الكتاب والسنة والأثر وكلام العرب، فمن ذلك قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَكَ

(١) الكلام اللفظي: هو ما كان بحرف وصوت، ومدلوله هو بعض مدلول الكلام النفسي القديم.

(٢) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على لازم معناه، بحيث لا يفهم المعنى من اللفظ مباشرة، كدلالة "الإنسان" على قبول العلم، ودلالة "الجهة" على التحيز والجسمية.

(٣) خلقه تعالى في اللوح المحفوظ. «حاشية البيهقي على المجموع» (ص ١٣١)، وعلم الله تعالى جبريل هذه

الألفاظ وأمره بإنزالها على سيدنا محمد ﷺ. «تهذيب السنوية» (ص ٥٥)

الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ [المناقرة: ١] ، ونحن نعلم وكل عاقل أنه تعالى ما كذب المنافقين في
الفاظهم، وإنما كذبهم فيما تكنه ضمائرهم وتكنه سرائرهم، وأيضاً قوله تعالى خبراً
عن الكفار ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾
[المجادلة: ٨]، فأخبر تعالى أن القول بالنفس قائم وإن لم ينطق به اللسان، والقول هو
الكلام، والكلام هو القول...، ويدل على ذلك من جهة السنة قوله ﷺ «يَا مَعْشَرَ
مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ» [أخرجه أبو داود]، وهذا في حق المنافقين،
فأخبر ﷺ أن الكلام الحقيقي هو الذي في القلب دون نطق اللسان، وأن الحكم
للكلام الذي في القلب على الحقيقة، وأن قول اللسان مجاز قد يوافق القلب وقد
يخالفه. اهـ [الإصناف: ١٥٩، ١٦١ بصرف].

وكل نص ورد في القرآن دال على أن كلام الله حادث كقوله تعالى ﴿مَا يَأْتِيهِمْ
مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠] فيحمل على الآيات
المكتوبة في الورق، والمقروءة باللسان، والمحفوظة في الجنان، حيث إنها كتابات
وحروف تدل على بعض ما يدل عليه كلام الله القديم.

وقد ابتلي الإمام أحمد بن حنبل في عهد المأمون على أن يقول بأن "كلام الله
مخلوق" ولكنه امتنع عن ذلك، وألقي القبض عليه ليؤخذ إلى الخليفة المأمون،
وطلب الإمام أحمد من الله أن لا يلقاه؛ لأنه توعد بقتله، وفي طريقه إليه وصل
خبر وفاة المأمون (ت ٢١٨هـ)، فتمّ رده إلى بغداد وسُجن وعُذب في خلافة

المعتصم بالله، وقد قضى على فتنة القول بخلق القرآن الخليفة المتوكل الذي كان يكره البدعة ويحب السنة، فأزال عن الناس ضررها، حيث استمرت هذه الفتنة أواخر خلافة المأمون، واستوعبت خلافة المعتصم بن هارون الرشيد (ت ٢٢٧هـ)، والواثق بن المعتصم (ت: أواخر ٢٣٢هـ)، وارتفعت في خلافة المتوكل بن المعتصم (ت ٢٤٧هـ)، فكانت الفتنة من سنة ٢١٨هـ وحتى سنة ٢٣٤هـ.

ويحكى أن الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠هـ) أتى أيام المحنة، وابن أبي دؤاد يمتحنُ الناس بخلق القرآن، فقال للحارث: اشهد أن القرآن مخلوق، فقال: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة وبسط أصابعه الأربع فقال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فعرض وكُنِّي وتخلص من القتل. «الأكبياء» لابن الجوزي بصرف.

فائدة: هل يجوز التفضيل بين سور القرآن وآياته؟ مذاهب:

الأول: مذهب مالك والأشعري والباقلاني (وابن حبان البستي، وجماعة من الفقهاء): أنه لا يجوز تفضيل بعض القرآن على بعض؛ لأنه يشعر بنقص المفضل، والذاتية في الكل واحدة، وهي كلام الله، وكلام الله تعالى لا نقص فيه.

الثاني: مذهب إسحاق بن راهويه (وغيره من العلماء والمتكلمين) وهو التفضيل (ويكون التفضيل بالمعاني العجيبة وكثرتها، لا من حيث صفة الكلام)، واختاره الغزالي (والقاضي أبي بكر بن العربي وابن الحصار).

الثالث: الجمع بين القولين السابقين، وهو أن المنفي هو التفاضل في الشرف الذاتي، أو المؤدي إلى تنقيص المفضول، أما التفاضل المشروع فيكون من وجوه أخرى: أ. كالثواب في القراءة.

ب. كاشتغالها على المعاني الشريفة كصفات الحق والبعث ونحوها.

ت. كاشتغالها على الأحكام الدينية، فالآيات المشتملة عليها خير من آيات القصص.

ث. كالبلاغة، فقد صرح علماء البيان بكون بعض الآيات أبلغ من بعض، مع

أن كلها في الدرجة العليا من البلاغة. «حاشية التراس» (ص ٦١٩) بصرف وإضافة.

الأدلة النقلية على صفة الكلام

والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وفي الحديث «قَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ» [متفق عليه].

تنبيه: كلّم الله تعالى موسى ﷺ كفاحاً دون ترجمان بالكلام النفسي القديم

- على التحقيق - عند الأشاعرة وبعض الماتريدية، حيث إن نبيّ الله موسى ﷺ

سمع الكلام النفسي القديم رغم تنزهه عن الحرف والصوت، ويجوز ذلك بأن

يخلق الله تعالى إدراكاً في الحاسة السمعية، وهذا الإدراك يدل على كلام الله تعالى،

إذ لا يشترط لمطلق إطلاق المسموع على الشيء أن يتصل بالحاسة السمعية، بل لو

اتصل ما يدل عليه أو حصل أي إدراك في الحاسة ولو بخلق مباشر من الله تعالى

بلا مقدمات ولا أسباب عادية، وكان هذا الإدراك يدل على الصفة الأزلية لصح
أن يقال بأن الكلام مسموع.

قال الإمام النووي في إثبات تكليم الله لموسى: هذا بإجماع أهل السنة على ظاهره،
وأن الله تعالى كلم موسى ﷺ حقيقة كلاماً سمعه بغير واسطة، ولهذا أكد بالمصدر.

«شرح مسلم»

وليس معنى تكليم الله تعالى لموسى ﷺ بالكلام القديم أنه ابتداء له الكلام
بعد أن كان ساكناً، ولا أنه انقطع كلامه بعدما كلمه، وإنما أزال عنه المانع وخلق
له علماً ضرورياً، حتى علم أن ما سمعه بسمعه الحادث هو كلام الله القديم، وأن
الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين، ثم ردّ عليه المانع فَرَدَّ إلى ما كان عليه قبل
سماعه كلامه تعالى.

قال الإمام الغزالي: وأنه تعالى متكلم، أمر، ناه، واعد، متوعد بكلام أزلي قديم
قائم بذاته، لا يشبه كلام الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء، أو
اصطكاك أجرام، ولا بحرف ينقطع بإطباق شفة أو تحريك لسان، وأن القرآن
والتوراة والإنجيل والزيور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام. «إحياء علوم الدين»

أقسام الصفات الواجبة

تنقسم الصفات الواجبة في حقه تعالى إلى أربعة أقسام:

١. نفسية، ٢. وسلبية، ٣. ومعانٍ، ٤. ومعنوية.

أقسام الصفات الواجبة في حق الله تعالى أربعة

م	القسم	الصفات المندرجة تحتها
١.	الصفة النفسية	صفة الوجود
٢.	الصفات السلبية	القدم والبقاء ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه والوحدانية
٣.	صفات المعاني	القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام
٤.	الصفات المعنوية	كونه قادراً ومريداً وعالماً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً

الصفة النفسية

«الصفة النفسية»: هي ما لا تعقل ولا تعرف الذات إلا بها، وهي: «الوجود».

وسمي الوجود بالصفة النفسية؛ لأنه يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها، فالوجود إنما هو عين الموجود، وليس وصفاً زائداً على الذات في الخارج، وغيرها من الصفات إنما تثبت بثبوت وجوده تعالى.

الصفة السلبية

«والصفات السلبية» خمس وهي: «القدم، والبقاء، ومخالفته تعالى للحوادث، وقيامه بنفسه، والوحدانية».

وسميت «سلبية»: لأنها سلبت ونفت عن الله تعالى نقائص، لا تليق بجلاله.

"الصفات السلبية" وهي مهات أمهات الصفات؛ وذلك لأنها أكثر من أن تُحصى، ولكنها ترجع إلى إحدى هذه الصفات الخمس الأصولية ولو بدلالة الالتزام، وهي صفات تنزيهية، تنزه الحق تعالى عما لا يليق به من النقائص المقابلة لها، وهي خارجة عن الذات لازمة في حقه، وتسمى أيضاً بـ "الصفات العدمية"^(١).

"سلبت ونفت عن الله تعالى نقائص" فيلزم من نفي ضدها تنزيهه تعالى عن جميع النقائص، والصفات السلبية ليس لها وجود في الخارج، وإنما التعرف عليها بالنظر إلى أضعادها فمثلاً صفة القدم ليس لها وجود في الخارج، وإنما معناها "لا حدوث"، فالمراد بالقدم: سلب ونفي ضدها وهي الحدوث.

وعلى هذا فهناك فرق بين أن يكون للصفات الكمالية الوجودية أضعاد، وبين أن الصفات السلبية لا تفهم إلا بأضعادها.

(١) لكنها ليست صفات عدمية محضة، كما أن سلب نقص يستلزم منها إثبات كمال لله تعالى.

صفات المعاني

«وصفات المعاني» سبع وهي: «القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام».

وسميت بـ«المعاني»؛ لأنها أثبتت لله تعالى معاني وجودية تليق بكماله.

فهي زائدة على الذات، لكنها وجودية لا تقبل الانفكاك عنه مطلقاً، ويستلزم من هذه الصفات.. نفي النقائص عنه تعالى.

وصفات المعاني توجب^(١) له أحكاماً، والمراد بـ«الأحكام» أي: المعنوية، فإنها أحكام لصفات المعاني، فإن كونه تعالى قادراً لازم للقدرة، وكونه مريداً لازم للإرادة، وكونه عالياً لازم للعلم، وهكذا.

وعُدَّ المعاني سبعة لا أكثر؛ لأن الدليل القطعي إنما دل على هذه السبعة، ولم يدل على أن ما عداها يغيرها، فمثلاً لو قيل: الله تعالى مصور، فإننا لا نفهم من اسم المصور إلا أنه يخلق الصور، وكونه تعالى خالق للصور، مترتب على كونه تعالى قادراً مريداً عالماً، وهكذا، فالخالق لا بد أن يكون قادراً مريداً عالماً كذلك.

(١) والمراد بالإيجاب: التلازم، وليس التلازم بينهما تلازم علة ومعلول، بل التلازم حُكْمِي، فتقول

مثلاً: صفة القدرة ينتج عنها ويلزم منها حُكْم وهو كونه تعالى قادراً.

والحاصل أن صفات المعاني من حيث التعلق تنقسم إلى أقسام:
قسم يتعلق بالواجبات والمستحيلات والجائزات: العلم والكلام.
وقسم يتعلق بالموجودات فقط: السمع والبصر.
وقسم يتعلق بالممكنات فقط: القدرة والإرادة.
وقسم لا يتعلق بشيء: الحياة.

الصفات المعنوية

«والصفات المعنوية» سبع وهي: «كونه تعالى قادراً، ومريداً، وعالماً، وحيّاً، وسميعاً، وبصيراً، ومتكلماً» وهي ملازمة لصفات المعاني.

"الصفات المعنوية ملازمة لصفات المعاني" حيث إنها ملازمة لصفات المعاني وأحكام لها، إذ لا يعقل (كونه تعالى قادراً) إلا بعد تعقل قيام (صفة القدرة) بالذات، وهكذا، فهو تعالى قادر بقدرة، مريد بإرادة، عليم بعلم، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام، حي بحياة.

وقد أثبت أهل السنة [الأشاعرة والماتريدية] صفات المعاني؛ ردّاً على المعتزلة الذين ينفونها، فسوّوا بين الذات والصفات وقالوا: بأن الله حي بذاته، وقادر بذاته، ومريد بذاته وهكذا، فأثبتوا المشتق دون المشتق منه، رغم أن من لم يقم به وصف لا يشتق له منه اسم، فإن ثبوت الأخص يستلزم منه ثبوت الأعم، فإثبات (كونه تعالى قادراً) يستلزم منه أن يكون تعالى متصفاً بصفة القدرة، فإذا قلت بأنه تعالى (قادر) .. نفيت عنه العجز وأثبت له صفة القدرة، وهكذا.

فيلزم من كلام المعتزلة: أن ذاته تعالى حياةً وقدرةً وإرادةً... إلخ، وهذا ظاهر البطلان؛ لكون الصفات غير الذات، والصفات لا تقوم بنفسها، كما أن الصفات مختلفة بالحد والحقيقة، والحقائق المختلفة تستحيل أن توصف بالإنحداد أو تقوم مقامها الذات الواحدة.

وقد أرادت المعتزلة بذلك الفرار من تعدد القدماء المعارض لفكرة التوحيد - بزعمهم -، والرد على ذلك أن المبطل للتوحيد إنما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة، أما هذه الصفات فليست منفكة عن الذات، فالذي يضر إنما هو تعدد الذوات القديمة.

هل المعنوية صفات أم أمور اعتبارية

الراجح عند أبي الحسن الأشعري والمحققين نفي كون المعنوية صفات، فإنهم قد نفوا زيادة المعنوية عن المعاني أصلاً، لكنهم جعلوها أموراً اعتبارية ثابتة في الذهن لا في الخارج، والأمور الاعتبارية ليست صفات.

فمدلول كونه تعالى قادراً - عند الشيخ الأشعري والمحققين -: هو نفس قيام صفة القدرة بذاته العلية، لا أنها صفة زائدة عليه، فهو تعالى قادر بصفة القدرة، ومدلول كونه تعالى عالماً: هو نفس قيام صفة العلم بذاته العلية، لا أنها صفة زائدة عليه، فهو تعالى عالم بصفة العلم... وهكذا.

وعند الباقلاني والسنوسي في «أم البراهين» وجماعة أنها عبارة عن صفات تدعى بـ "أحوال"^(١) ملازمة لصفات المعاني، فهي ثابتة للذات لا من حيث إنها قائمة بالذات كصفات المعاني، بل من حيث إنها عبارة عن أحوال ثابتة في

(١) الحال: صفة ثابتة في الخارج عن الذهن، تقوم بموجود، وليست موجودة (بالاستقلال) ولا معدومة (عدمًا صرفاً)، بل هي واسطة بين الموجود والمعدوم (أي: إنها لم تبلغ درجة الموجود ولم

تنحط إلى درجة المعدوم). «مهلّب السنوسية» (ص ٥٩)

الخارج، لكنها ليست بموجودة ولا معدومة، قائمة بذاته تعالى زائدة على قيام صفات المعاني بها^(١).

وعلى اعتبار أن مدلولات الأكوان السبعة السالفة الذكر أمور اعتبارية أم أحوال فإن إنكارها.. كفر على تفصيل فيه^(٢).

والفرق بين المعاني والمعنوية: أن المعاني.. وجودية، تُعقل ذهنًا وخارجًا، والمعنوية.. ثبوتية، تعقل ذهنًا لا خارجًا. «هليلب السنوسية» (ص ٥٩)

(١) فمدلول كونه تعالى قادراً.. عند القاضي الباقلاني والسنوسي في «أم البراهين»: حال قائمة بذاته تعالى زائدة على قيام صفة القدرة بها.

(٢) فمن نفى كون الله تعالى حياً وعالمًا وقادراً ومريدًا.. كفر.

ومن نفى كونه سميعاً وبصيراً.. كفر [أيضاً] ما لم يُرجع السمع والبصر إلى العلم فلا يكفر ولا يبدع.

ومن نفى كونه متكلمًا.. كفر ما لم ينف الكلام النفسي فلا يكفر، لكنه خالف جماهير العلماء

وظواهر الشريعة والأدلة. «حاشية الشيخ سعيد فودة على صفري الصغرى» بصرف (ص ٧٧)

الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

الصفات الواجبة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهي:

« ١. الصدق، ٢. والأمانة، ٣. والتبليغ، ٤. والفظانة»

الصفات المستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

الصفات المستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات وهي:

« ١. الكذب، ٢. والخيانة، ٣. والكتمان، ٤. والبلادة».

شرح المؤلف بالكلام حول مبحث النبويات بعد الانتهاء من مبحث الإلهيات، ومعلوم أن إرسال الرسل جائز على الله تعالى، واقع في الحقيقة من باب الفضل والمنة، خلافاً للمعتزلة القائلين بوجوب بعثتهم، والسمنية والبراهمة القائلين باستحالة بعثتهم، وكلا الرأيين باطلان، ولأهل السنة ردود مذكورة في المطولات. وفي بعثتهم كثير من الحكم والمصالح كقيام الحجة على المكلفين من الثقلين بالبينات، وتنقطع عنهم سائر التعللات.. قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّا أَفْلَكُنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنَلِّئَ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وكذلك من الحكم التعريف بحقائق الدين وأحكام الشريعة، والحث على الخير والتحذير من الشر، ونشر الأخلاق الحسنة، والتعرف على ما لا يستقل العقل بمعرفته كرؤيته تعالى وأخبار القيامة وما فيها.

وسياقي التفصيل بتعريف كل صفة من الصفات الواجبة والمستحيلة في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

الصفات الجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام

الصفات الجائزة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة وهي:
«الأعراض البشرية» التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالأكل
والشرب، والمرض بغير منفر، والمشي في الأسواق والزواج.

فإنه يجوز في حق الأنبياء.. التعرض لما يتعرض له سائر البشر من الأحوال البشرية
كالأكل والشرب والنوم والمشي في الأسواق والزواج ونحو ذلك من المباحات.

وكذلك يجوز عليهم أن يعترهم الأعراض البشرية غير المنفرة التي لا تؤدي
إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض الخفيف، وكذلك الإغماء غير الطويل كما
قيده السُّبكي والبُلُقيني، لكن إغماؤهم ليس كإغماء غيرهم؛ لأنه إنما يستر منهم
حواسهم الظاهرة دون قلوبهم.

أما الجذام والبرص والعمى والجنون والإغماء الطويل وغير ذلك من الأمور
المنفرة فيستحيل عليهم.

فالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم منزّهون عن النقائص في الخلق والخلق،
سالمون من العاهات والمعائب، فالحق تعالى نزههم عن كل عيب، وعن كل ما
يغضُّ العيون، وينفّر القلوب.

ولم يثبت أن شعباً عليه السلام كان ضريراً كما ذكره المحققون، بل ولا أصل له.
وأما ما كان يعقوب عليه السلام فهو بسبب حجاب صار على العين من كثرة البكاء
والأحزان، فسببت له غشاوة، ثم زالت لما جاءه البشير.

وما يقال في أيوب عليه السلام من أنه ابتلي بالدود عند مرضه فكذب واختلاق، وإنما كان بلاؤه بين الجلد والعظم، ولم يكن منفراً تعافه النفوس، إذ لا يجوز في حقهم أن يكونوا بصفة تستقذره الناس عليها؛ لأن في ذلك تنفيراً، لكن المرض قد طال به عليه السلام واستمر سنين عديدة بلغت ثمان عشرة سنة.

أما بخصوص سحر النبي ﷺ .. **فالصحيح** أن النبي ﷺ لم يضره ذلك السحر في عقله وإدراكه، ولا في دينه وعبادته، ولا في رسالته التي كُلف بإبلاغها، وإن كان للسحر حقيقة يوصل به الساحر إلى بدن المسحور ألماً قد يتلف به، لكن عصم نبيه ﷺ من ذلك، ولذا لم يستنكر أحد من الناس شيئاً من سيرته، ولا معاملته معهم في صلاته وأذكاره وتعليمه، إنما كان أثر السحر عليه فيما يتعلق بالجماع مع النساء، أو بعض نسائه، ولهذا لم ينقله سوى السيدة عائشة، وقد ذكرت أنه كان يَحْتَلِّ إليه أنه يأتي النساء وما يأتيهن، وهذا القدر لا يؤثر في الرسالة، وهو من قضاء الله وقدره؛ ابتلاءً من الله تعالى، فإن أشدَّ الناس بلاءً «الأنبياء، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَلَا أَمْثَلُ، يُتَكَلَّى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ» [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه]، والله أعلم.

(١) [أخرجه البخاري ومسلم]، والذي سحره: ليبيد بن الأعصم.

فوائد وقوع الأعراض البشرية على الأنبياء

١. تعظيم الأجر.. أي تكثير الثواب باعتبار ما يطرأ على ظواهرهم من الآفات والتغيرات والآلام.

٢. التشريع.. أي التعليم للغير، كما عرفنا أحكام الصلاة من السهو الواقع له عليه الصلاة والسلام، وعرفنا كيف تؤدي الصلاة في المرض من فعله عليه الصلاة والسلام.

٣. التسلي.. أي التصبر ووجود الراحة واللذة عن الدنيا عند فقدها؛ لأجل كونهم أكرم الخلق على الله أصابتهم الشدائد، وكان من دونهم من باقي البشر أخرى، فإذا أصابت (الأعراض) باقي البشر.. تسلي هؤلاء بالرسول عن الدنيا.

٤. التنبيه لحسنة قدر الدنيا عند الله.. فإن العاقل إذا نظر في ما واجهه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذه الدنيا تبين لهم قطعاً أن الدنيا خسيصة القدر عند الله، إذ لو كان لها بال لأعطاهما السادة الكرام، ومنعها الفقار اللئام. «مطلب السنوية» بصرف (ص ١١٤)

معنى الصدق

«الصدق» هو: مطابقة الخبر للواقع.

والمعنى: أن جميع ما أخبر به الرسل عليهم الصلاة والسلام عن الله تعالى هو حق وصدق مطابق للواقع.

و ضد الصدق: الكذب، وهو الإخبار بغير الواقع.

فالكذب صفة مستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

قال تعالى ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: ٢٢]، وورد «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ابْتِغَاءَ قَرَسًا مِنْ أَعْرَابٍ، فَجَحَدَهُ الْأَعْرَابِيُّ وَطَلَبَ شَاهِدًا، فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: بِمَ تَشْهَدُ؟ فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.. فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ» [أخرجه أبو داود والنسائي].

فلو وقع الكذب في شيء مما بلغه الرسول عن الله تعالى.. للزم أن يسري ذلك الكذب إلى خبره تعالى؛ لأنه تعالى أشار إلى تصديق الرسل بالمعجزات التي تحدى به الرسول قبل وقوعه، وطلبه من المولى تعالى دليلاً على صدق الرسول في كل ما يبلغ عنه، فأوجده تعالى له على وفق دعواه، فتتزلت هذه المعجزة منزلة قوله تعالى (صَدَقَ عَبْدِي فِي كُلِّ مَا يَبْلُغُنِي).

ومن المعلوم أن مَنْ صَدَّقَ الكاذب مع علمه بأنه كاذب فهو أيضاً كاذب، والكذب في حق الله تعالى محال؛ لأنَّ خبره تعالى موافق لعلمه، وعلمه تعالى لا يتبدل ولا يحتمل النفيض بحال من الأحوال، فوجب صدق الرسول.

أما ما يقوله الأنبياء من الكلام الذي يوهم ظاهره الكذب فهو من باب التعريض^(١) وهو الكلام الذي له وجهان يفهم المستمع المعنى الذي لا يريده المتكلم. كما وقع لسيدنا إبراهيم عليه السلام عندما قال ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]، ويقصد: إني سقيم من عبادتكم لهذه الأصنام، فالمقصود سقم النفس لا سقم الجسم.

فإنه لما دعوه للخروج معهم لمهرجاناتهم في ظلمة السحر وفي باله أن يكيد أصنامهم بعد خروجهم فنظر إلى النجوم؛ ليقيم عذره عندهم على زعمهم لكونهم يقولون بالقضاء في النجوم فقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] فاعتقدوا أنه رأى في النجوم أسباب المرض فرضوا عنه بذلك وتركوه. «تنزيه الأنبياء» بصرف (ص ١٣٠)

وقال آخرون: إن قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ معناها: أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم، وإن لم يكن به حين قالها سقم ظاهر. «تفسير القرطبي» بصرف

وقوله ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].. فهو لإقامة الحجة القاطعة على قومه حين سألوه: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]؟ فرد عليهم بذلك الرد، بمعنى أن كبيرهم غار وغضب من أن يعبد هو ويعبد الصغار معه ففعل بها ذلك، فعلق فعل الكبير بنطق الآخرين؛ تنبيهاً لهم على فساد اعتقادهم، ثم قال لهم: ﴿فَأَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْتَفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣].

(١) روي عن مطرف بن عبدالله بن الشَّخِير قال: صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر وقال: **إِنَّ فِي مَعَارِضِ الْكَلَامِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَلْبِ**. [أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» والبيهقي في «الشعب» والطبراني في «الكبير» ورجالهم].

وقوله لجبار من الجبابرة عندما سأله عن زوجته سارة: من هذه؟ فقال: هذه
أختي، فيقصد أخوة الإسلام كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

معنى الأمانة

«الأمانة» هي عصمتهم ظاهراً وباطناً من الخيانة بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى.

و ضد الأمانة: الخيانة، وهي ارتكابهم فعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى.
فالخيانة صفة مستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والدليل على وجوب صفة الأمانة عليهم قوله تعالى ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الاحقاف: ١٨]، وكان ﷺ يلقبه قومه قبل النبوة بالأمين.

وعصمتهم عليهم الصلاة والسلام ثابتة.. قال تعالى ﴿وَأَن تَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ وَأَن نُّبْذَرَ بِالْأَعْيُنِ﴾ [الناس: ٧٥]

ولو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكنا مأمورين بمتابعتهم من غير تفصيل كما قال تعالى ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، كيف والحق سبحانه وتعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف أولى.

فالأنبياء معصومون من الكفر قبل البعثة وبعدها بالإجماع كما ذكره القاضي عياض، وكذلك معصومون من الكبائر - غير الكفر - عمداً أو سهواً، ومن

الصغائر التي فيها رذيلة وخساسة نفس ودناءة همة كتطفيف حبة، وسرقة باقة بقل إجماعاً^(١). أما دون ذلك من بقية الصغائر.. ففيه خلاف..

فمنهم من قال بجواز وقوع الصغائر منهم قبل البعثة عمداً أو سهواً؛ لعدم وجود دليل نقلي أو عقلي على امتناعها.

ومنهم من قال بعدم وقوع الصغائر منهم قبل البعثة.. وعليه طائفة من المحققين والمتكلمين كأبي إسحاق الإسفراييني وأبي الفتح الشهرستاني، والقاضي عياض، والتاج السُّبكي ونقل ذلك عن والده التقي السُّبكي، والنووي والقسطلاني والزرقاني وغيرهم.. وعليه فعصمتهم من وقوع الصغائر منهم بعد البعثة من باب أولى.

قال الإمام النووي في «الروضة»: **واختلفوا في الصغائر فجوزها الأكثرون، ومنعها المحققون وقطعوا بالعصمة منها، وتناولوا الظواهر الواردة فيها.**

وأجمع الصحابة على التأسّي به ﷺ في أقواله وأفعاله وسائر أحواله وفي كل حالاته من غير بحث ولا تفكير، بل مجرد ظنهم أو علمهم بصدور ذلك منه.

* أما قضية استدلال نبي الله إبراهيم عليه السلام بالكواكب الثلاثة، وقوله لقومه ﴿هَذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦] فإنما هو على وجه التعنيت لهم وإقامة الحجة عليهم لعلمهم يتفطنون ويتعلمون منه وجوه الاستدلال، حيث معلوم أن من رأى ساكناً يتحرك.. علم تغيره ضرورة، وحاشا على إبراهيم عليه السلام أن يشك في ربه وهو

(١) لأن صدور ذلك من خاصة الناس مستقيح، فصدوره من الأنبياء يكون أشد قبحاً.

الحجة ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأِهِ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣].

* وأما ما ورد عن نبي الله يوسف عليه السلام - وقد بلغ أشده ونضجه - مع امرأة العزيز
(زليخا) في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ مَتَّ بِهَ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٢٤] من أنه
هم أن يواقعها فإنها هو تقول على هذا النبي الكريم؛ لأنه أصلب من أن يغويه هذا
العرض الفاحش، فالزنا أعظم الجرائم وأبشعها، حرمتها الأديان السماوية كلها،
كيف يتجرأ على فعلها نبي؟! لذا فإن للعلماء في الهم تأويلات:

أحدها: أن الهم الوارد في الآية من زليخا هم طلب للفاحشة، ومن يوسف
هم ضرب لها ودفعها عن نفسه^(١)، فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أوقع في
نفسه إن ضربها كان ضرب به إياها حجة عليه؛ لأنها تقول: راودني فمنعته
فضربني.. ذكره ابن الأنباري.

ثانيها: أنه لم يقع منه هم الفاحشة أصلاً؛ لوجود البرهان، فلولا أن رأى
برهان ربه لهم بها، فكان موجد الهم على تقدير انتفاء رؤية البرهان، ولكنه وُجد
رؤية البرهان، فانتفى الهم^(٢)، كما يقال: قد كنت من المالكين لولا أن فلاناً
خلّصك.. ففي الكلام تقديم وتأخير، و(لولا) حرف امتناع لوجود، كما تقول:

(١) حيث إن الآية التي قبل آية الهم ﴿... وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ [يوسف: ٢٣]

أخبرت عن إباطه، فكيف يجتمع إباطه الشديد وقبوله وانقياده لهذه الشهوة الدنية؟

(٢) في الكلام تقديم وتأخير.. كأنه أراد: ولقد مَتَّ به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها. - هــمـ القـرطـبي،

لولا زيد عندك لأتيتك، فامتنع بجيئه لوجود زيد عنده، وكذلك هنا لولا أن رأى برهان ربه لهم بها.

ثالثها: أن ذلك الهمّ حركة طبع لم يتوطّن عليه النفس، وما كان من هذا القبيل لا يؤخذ به العبد.

* وأما قتل موسى عليه السلام للقبطي فقد كان خطأ غير مقصود حيث إنه وكز^(١) القبطي ليدفعه عن الإسرائيلي، والوكزة في الغالب لا تقتل، ولكنها كانت القاضية.. قال تعالى ﴿مُؤَكِّزَةٌ مُوسَى فَقَصَى عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥].

* وأما ترك نبينا ﷺ للأكمل وفعله مخالف المأمور كالشرب قائماً أو التبول قائماً، والوضوء مرةً مرة، ومرتين مرتين^(٢) وغير ذلك فهو من باب التشريع للأمة؛ لبيان الجواز، وهو ﷺ مأمور بالبيان، وإلا فكمال معرفته بالله تعالى لا يقع منه إلا طاعة، بل قد يجب فعل ما ظاهره مكروه إذا توقف البيان عليه.

(١) الوكز: هو الضرب بجمع الكف.

(٢) قال النووي: ترضاً ﷺ مرةً مرة في بعض الأوقات؛ بياناً للجواز، وكان في ذلك الوقت أفضل في حقه ﷺ لأن البيان واجب عليه ﷺ. فإن قيل: البيان يحصل بالقول، فالجواب: أنه أوقع بالفعل في النفوس وأبعد من التأويل. «شرح النووي على صحيح مسلم»

معنى التبليغ

«التبليغ» هو تعليمهم وإبلاغهم إلى الناس جميع ما أمرهم الله بتبليغه من الشرائع والأحكام الدينية.

و ضد التبليغ: الكتمان، وهو إخفاؤهم شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق.

فالكتمان صفة مستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والدليل على وجوب صفة التبليغ عليهم.. قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٧].

فلو كتم الرسل شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكننا مأمورين بكتمان العلم إقتداءً بهم.. كيف وقد أمرنا بنشره.. قال ﷺ «مَنْ سَتَلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَجَمَهُ اللَّهُ يَلْجَأُ مِنْ نَارِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» [أخرجه أبو داود والترمذي].

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكُتِمَ هَذِهِ الْآيَةُ» ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَخُفْيَ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَخَشِيَ النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧] [أخرجه مسلم].

معنى الفطنة

«الفطنة» هو كمال الذكاء والنباهة؛ لإلزام الخصوم في المحاجة وإبطال دعاويهم.

و ضد الفطنة: البلادة، وهي عدم التيقظ والتنبه لكيد الخصم وحيله، والعجز عن إقامة الحجة.

فالبلادة صفة مستحيلة في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والدليل على وجوب صفة الفطنة عليهم قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا

إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٣].

وقال تعالى ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ

الصّٰدِقِينَ﴾ [مرد: ٣٢].

فمهمة الأنبياء علمية وتربوية وقيادية، فلا بد من أن يتحقق فيه من الاستعداد ما يؤهله للقيام بذلك، وأن يقرع الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان.

وقد وقع مع نبي الله إبراهيم مناظرة مع النمرود حين قال له ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فأستحيي من أردت قتله فلا أقتله، فيكون ذلك

مني إحياء له، وذلك عند العرب يسمى (إحياء)، وأقتل الآخر، فيكون ذلك

مني إماتة له ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وانقطعت حجته.

وكتب هرقل إلى النبي ﷺ إنك تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض
أعدت للمتقين.. فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: **سُبْحَانَ اللَّهِ.. أَيْنَ اللَّيْلُ إِذَا جَاءَ
النَّهَارُ؟** (صفوة القفاير، ٢١٣/١)، وهذه الرواية أخرجه الإمام أحمد في (مسنده)

الرسل الواجب معرفتهم تفصيلاً

الواجب معرفتهم من الرسل تفصيلاً: خمسة وعشرون^(١)، وهم ساداتنا: «١. آدم، ٢. وإدريس، ٣. ونوح، ٤. وهود، ٥. وصالح، ٦. وإبراهيم، ٧. ولوط، ٨. وإسماعيل، ٩. وإسحاق، ١٠. ويعقوب، ١١. ويوسف، ١٢. وإيوب، ١٣. وشعيب، ١٤. وهارون، ١٥. وموسى، ١٦. واليسع، ١٧. وذو الكفل، ١٨. وداود، ١٩. وسليمان، ٢٠. وإلياس، ٢١. ويونس، ٢٢. وزكريا، ٢٣. ويحيى، ٢٤. وعيسى، ٢٥. وسيدنا محمد المصطفى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

يكفي الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالاً: كالإيمان بغالب الأنبياء، ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلاً كالإيمان بجمع من الأنبياء، فالجمع الذي يجب معرفتهم تفصيلاً من الأنبياء خمسة وعشرون، وقد ذكرهم المؤلف أعلاه.

ومعنى كون الإيمان واجباً بهم تفصيلاً: أنه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته، فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته.. كفر، لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر إلا إن أنكر بعد تعليمه، وليس المراد أنه يجب حفظ أسمائهم خلافاً لمن زعم ذلك.

(١) لورودهم في كتاب الله تعالى.

الرسول والنبي

«الرسول»: هو إنسان حر ذكر، أوحى الله إليه بشرع، وأمره بتبليغه للخلق.
«النبي»: هو إنسان حر ذكر، أوحى الله إليه بشرع، ولم يأمره بتبليغه للخلق. فكل رسول نبي ولا عكس^(١).

الرسالة أشرف من النبوة وأفضل، خلافاً للعز بن عبد السلام الذي اختار أفضلية النبوة على الرسالة، معللاً ذلك بأن النبوة فيها تعلق بالخالق، والرسالة فيها تعلق بالخلق، فإن النبوة فيها انصراف من الخلق إلى الحق، والرسالة فيها الانصراف من الحق إلى الخلق؛ ليدهم، ورّد بأن الرسالة فيها التعلقان كما صرح به الشيخ ابن حجر في «شرح الأربعين».

مخرجات التعريف:

"إنسان": خرج به: الجن.. فليس فيهم نبي.. أما قوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢٠] فمقصود ﴿مِّنكُمْ﴾ أي: من بعضكم وهم الإنس، وإنما ذلك من باب التغليب بذكر الكل وإرادة البعض، مثل قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢] فإنما يخرج اللؤلؤ والمرجان من البحر المالح دون العذب.

(١) وقيل: هما متباينان، وأن الرسل هم أصحاب الكتب والشرائع، والنبيون هم الذين يحكمون بالمنزل على غيرهم، مع أنها يوحى إليهم، فالنبي غير الرسول، والرسول غير النبي، كذا قاله

الإمام السنوسي في «شرح الجزائرية». اهـ «غير القلائد شرح جواهر المقادير»

"حر": خرج به: العبد.. فلا يكون نبياً؛ لأنه مشغول بخدمة سيده. فسيدينا لقمان كان عبداً صالحاً حكيماً.. وليس نبياً على الراجح^(١)، ولم يرد نص صريح بنبوته. "ذكر": خرج به: الأئمة.. فلا تكون نبية.. قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ١٧].. وهذا يقتضي حصر النبوة في الرجال.

كما أن قضية النبوة تستلزم قوامة النبي على أتباعه، ولو كان مقام النبوة لامرأة لاستنكف كثير من الناس أن يكونوا مطيعين لامرأة تقودهم.

أما ما قيل في نبوة الصديقة مريم فهو ضعيف مرجوح، وحكى الإمام أبو العباس المستغفري والقاضي أبوبكر الباقلاني وإمام الحرمين الجويني في «الإرشاد» إجماع العلماء على أنها ليست نبية، وأن الذكورة شرط في النبوة والرسالة، لكن خالف في ذلك ابن حزم والقرطبي في «تفسيره» وغيرهما حيث ذهبوا إلى نبوتها، وإلى جواز النبوة في النساء دون الرسالة.

نبوة الخضر

فيه خلاف: **القول الأول:** أنه كان نبياً.. واختاره ابن عباس ووهب بن منبه، وكذلك القرطبي والبغوي وأبو حيان والثعلبي والنسفي في «تفاسيرهم»، وأبو الفرج بن الجوزي في «عجالة المنتظر»، والحافظ ابن الصلاح في «فتاواه»، والمازري، والشيخ ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية» وجمع من المحدثين؛ لقوله تعالى ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِزِّدُنَا﴾ [الكهف: ٦٥] والرحمة تعني

(١) وقال بنبوته: عكرمة والشعبي. وهذا مرجوح.

النبوة كما ذكره بعضهم كالقرطبي والزعزعي والسيوطي والخطيب الشربيني والآلوسي في تفاسيرهم، ولقوله تعالى ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف: ٢٨٧] وهذا ظاهره أنه فعله بأمر الله، والأصل عدم الوساطة.

القول الثاني: أنه كان ولياً، واختاره جماعة من الصوفية، وقال به أبو علي بن أبي موسى من الحنابلة، وأبو بكر بن الأنباري في كتابه «الزاهر في معاني كلمات الناس»، وأبو القاسم القشيري في «الرسالة القشيرية».

القول الثالث: التوقف.. واختاره أبو الخطاب ابن دحية الكلبي.

أول النبيين وخاتمهم

أول النبيين بصورته: «آدم»، وآخرهم بصورته وأولهم بمعناه: «سيدنا محمد ﷺ» خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين، فلا نبي ولا رسول بعده أبداً.. قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

عدد الأنبياء ١٢٤ ألفاً، والرسول منهم ٣١٥.. كما روي عن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ.. كَمْ وَفَى عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا.. الرَّسُولُ مِنْ ذَلِكَ فَلَا مِائَةَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا خَفِيرًا» [أخرجه أحمد].

"أول النبيين بصورته: «آدم»" ففي حديث أبي ذر "..." قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ.. مَنْ كَانَ أَوَّلُهُمْ؟ قَالَ: آدَمُ. قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ.. أَنَبِيٌّ مُّرْسَلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ.. خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَكَلَّمَهُ قَبْلًا^(١)... « [أخرجه ابن حبان]

(١) أي عياناً، من غير أن يولي أمره أو كلامه أحداً من الملائكة.

"وآخرهم بصورته وأولهم بمعناه: «سيدنا محمد ﷺ» .. عن ميسرة الفجر
 قال: «يَا رَسُولَ اللَّهِ.. مَتَى جُعِلَتْ نَبِيًّا؟ قَالَ: وَأَنتُمْ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» [أخرجه أحمد]،
 وفي رواية بلفظ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ أَكْمَ لِمُنْجِلٍ فِي طَيْبَتِهِ» [أخرجه أحمد].
 "خاتم النبيين" .. قال تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

"وسيد الأولين والآخرين" .. قال ﷺ «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ»
 [أخرجه الترمذي]، وقال «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ وَلَا فَخْرَ» [أخرجه ابن حبان].

وختم الله برسالته جميع الرسالات، وكانت عامةً لجميع الخلق.. قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: ٢٨]، وقال ﷺ «وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً» [أخرجه مسلم].
 ومن حيث التفصيل فنؤمن بجميع من ذكر من الأنبياء في الكتب والسنة،
 ومن كفر بواحد منهم [أي: من المجمع على نبوته] فقد كفر، فإن الإيذان بالأنبياء
 لا يتم إلا بالإيمان بهم كلهم.. قال تعالى ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ
 بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

وهناك خلاف في نبوة إخوة يوسف^(١) وذوي القرنين ولقمان وعزير، والراجح:
 عدمه، والصديقة مريم وآسية بنت مزاحم وأم موسى لم يكن أحد منهم من

(١) ممن أثبت نبوة إخوة يوسف ﷺ: البغوي، وعن لم يثبت نبوتهم: أبو عبد الله القرطبي وابن كثير
 والفخر الرازي والقاضي عياض والسيوطي.

الأنبياء؛ لأن النبوة لا تكون إلا في الذكور.. قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء: ١٧]

وأفضل الخلق: سيدنا محمد ﷺ، ثم بقية أولي العزم إبراهيم فموسى فعيسى فنوح، ثم بقية الرسل، ثم الأنبياء غير الرسل، ثم خواص الملائكة كجبريل وإسرافيل وميكائيل وبقية الرؤساء، ثم عوام المؤمنين - كأبي بكر -، ثم عوام الملائكة.. على تقديم وتأخير في الأخيرين عند بعضهم.

والتفضيل بين الأنبياء.. جائز، ما لم يجرّ هذا التفضيل إلى تنقيص المفضول.. قال تعالى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

أما قوله تعالى ﴿لَا تَقْرَئُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] فمعناه: لا تؤمن ببعض الأنبياء دون بعض، ولا نفرق بينهم في نفس النبوة والرسالة، بل في الخصائص.. ففي «تفسير الجلالين»: ﴿لَا تَقْرَئُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعل اليهود والنصارى.

السمعيات

السمعيات: هي الأمور التي لا يستقل العقل بمعرفتها، بل لا تعرف إلا بالسمع من الكتاب العزيز أو السنة المحمدية.

القسم الثالث من مباحث هذا الفن وهو "السمعيات" الذي يرجع مصدر العلم به عبر الكتاب والسنة - ولو ظنية..

ويجب على كل مكلف الإيمان بالسمعيات.

ففي السمعيات أمور يكفر منكرها؛ لإنكاره المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة، وبعضها يفسق، وبعضها الخلاف فيها محتمل.

ما يجب اعتقاده والإيمان به من السمعيات

مما يجب اعتقاده والإيمان به من السمعيات: أن نعتقد ونؤمن بأن لقاء الله تعالى بعد الموت.. حق، وسؤال الملكين في القبر.. حق، وكونهما للروح والجسم، وأن الله يبعث من في القبور، وإعادة الأجساد بأجزائها الأولى.. حق؛ لقوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

اليوم الآخر سُمِّي بذلك؛ لأنه متصل بآخر أيام الدنيا، ولا يعقبه ليل وهو من وقت الحشر إلى ما لا نهاية، وقيل: من الموت؛ لأن من مات قَامَت قِيَامَتَهُ.

وَسُمِّيَ بِ(يَوْمِ الْقِيَامَةِ)؛ لقيام الناس فيه من قبورهم بين يدي خالقهم تبارك وتعالى، ويجب الإيمان بيوم القيامة وما فيه.. قال تعالى ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٣]، قال ﷺ عندما سئل عن الإيمان

«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»
[أخرجه مسلم].

"سؤال الملكين في القبر.. حق، وكونهما للروح والجسم" وسؤال القبر
عام لجميع المكلفين من المؤمنين والمنافقين والكافرين، إنساً وجنأ؛ لقوله تعالى
﴿فَوَرَبُّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢] كما رجحه أبو عبدالله القرطبي في «التذكرة»
والحافظ ابن حجر في «فتح الباري»، ويكون السؤال من قبل ملكين أحدهما
يسمى منكرأ، والآخر نكيرأ.. قال ﷺ «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ»
يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا مُنْكَرٌ وَلِلْآخَرِ نَكِيرٌ [أخرجه الترمذي].

ولا يُسأل الأطفال، كما اختاره النووي في «الروضة» والحافظ ابن حجر في
«فتح الباري»؛ لعدم تكليفه، ولا كذلك الملائكة كما اختاره الحافظ ابن حجر في
«فتح الباري»، بخلاف الجن؛ لتكليفهم.

ويكون السؤال بعد تمام الدفن وانصراف الناس عنه.. قال ﷺ «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا
وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيَقْعِدَانِهِ...»
[متفق عليه].

ويكون السؤال بإعادة الروح إلى البدن عند السؤال على المعتمد.
ولا بد من سؤال الميت ولو أكلته السباع أو تمزقت أعضاؤه أو ذر في الهواء،
فيخلق الله فيه الحياة، ويوجه إليه السؤال.

(١) أزرقان: أزرقا العينين.

وسؤال كل واحد من الناس بلسانه.. واختاره البيجوري في «حاشيته على ابن قاسم»، وقال بعضهم: بالعربية.. واختاره الحافظ ابن حجر، وقيل: بلغة واحدة يعقلها كل أحد، وقيل: بالسريانية.. واختاره البُلُقيني.

فإن مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة: احتمل السيوطي في «شرح الصدور» تعدد ملائكة السؤال، واختار أبو عبدالله القرطبي في «التذكرة» أن الملكين تعظم جثتها، فيسألان الجميع بوقت واحد.

يستثنى من السؤال وفتنة القبر

الأنبياء والصديقون^(١) والشهداء^(٢) والمرابطون^(٣)، والملازمون على قراءة سورة تبارك كل ليلة^(٤)، ومن مات ليلة الجمعة أو يومها^(٥)، والميت بالطاعون^(٦).

"أن الله يبعث مَنْ فِي الْقُبُورِ" البعث: هو إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم.. قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: IV].

(١) لأن الأنبياء والصديقين أعلى رتبة وأجلُ قدرًا من الشهداء، فهم من باب أولى.

(٢) في الحديث أن رجلاً قال: يا رسول الله.. ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد فقال: «كفى

بِبَارِقَةِ الشَّيْطَانِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً» [أخرجه النسائي].

(٣) الرباط: ملازمة ثغور المسلمين مدة على نية الجهاد.. قال ﷺ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي

مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْتَمَى عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيَأْمَنُ فِتْنَةُ الْقَبْرِ» [أخرجه أحمد].

(٤) قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ «تَبَارَكَ الَّذِي يَكُونُ الْمَلَكُ» كُلَّ لَيْلَةٍ.. مَنَعَهُ اللَّهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» [أخرجه النسائي].

(٥) قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللَّهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ» [أخرجه أحمد والترمذي].

(٦) قال السيوطي: بأن الميت بالطعن لا يسأل، لأنه نظير المقتول في المعركة... هكذا ذكره [أي: الحافظ

ابن حجر] وهو متجه جداً. «شرح الصدور» (ص ٣١٠)

وبالبعث يتبدى اليوم الآخر، والبعث والنشر بمعنى واحد، وواجب الإيمان به، وأول من يبعث وتنشق عنه الأرض: رسول الله ﷺ كما ورد عنه أنه قال «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتَى أَهْلَ الْبَيْعِ فَيُخْشَرُونَ مَعِيَ، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى أَحْضَرِيَنَّ الْحَرَمَيْنِ» [أخرجه الترمذي].

"إعادة الأجساد بأجزائها الأولى" أي أن الله تعالى سيعيد الجسم نفسه كما كان بعد أن يصير محض عدم بذهاب العين والآخر إلا عجب الذنب، فالجسم المعاد هو الجسم الأول الذي كان يطيع ويعصي بعينه لا مثله؛ "لقوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]" وقوله تعالى ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

[الأنعام: ٢٩].. قال الآمدي: وهذا هو الصحيح، وعليه الأكثر. «حاشية السياحى» (ص ٢٣١)

وقيل: بأن الإفناء.. تفريق أجزاء الجسم، والإعادة.. جمعها، فالجسم يُعاد بعد تفريق محض لأجزائه، فيجمعها القادر تعالى وتصير جسماً كما كان ويردُّ إليه روحه.. بدليل ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَخْيِنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [طه: ٩٠] فسمى الله تعالى الأرض اليابسة ميتاً، وسمى إنبات النبات عليها إحياء لها، ثم قال ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾.

وقيل: بالتوقف، وهو اختيار الجويني والفتازاني؛ لعدم وجود دليل قطعي بذلك. أما الأنبياء والصديقين والشهداء والمؤذنين المحتسبين وحملة القرآن العاملين بما فيه فلا تُبلى أجسامهم؛ لتخصيصهم بالنص.

والحشر إلى موقف الحساب.. حق. وقيام الناس لرب العالمين؛ لاستنطاقهم والإشهاد عليهم والفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.. حق.. قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:٦٦]، وقال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ مُرْصِلٌ بَيْنَهُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة:٢٥].

"الحشر إلى موقف الحساب" الحشر: سَوَّقَ الناس جميعاً إلى المحشر [أي الموقف] بعد البعث؛ لفصل القضاء ووزن الأعمال.. قال تعالى ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٤]، فيكونون بعد بعثهم من قبورهم إلى أرض المحشر، وهو الموقف الذي يقف فيه الخلق من الأرض المبدلة التي لم يُعَصَّ الله تعالى عليها^(١)؛ لفصل القضاء.. قال ﷺ ﴿يَحْشُرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقَرْصَةِ النَّقِيِّ لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ^(٢)﴾ [أخرجه سلم]، ومن الحشر إما إلى الجنة وإما إلى النار.

ولا فرق في الحشر بين مَنْ يُجَازَى - كالإنس والجن - وبين مَنْ لَا يُجَازَى - كالبهائم والوحوش - على ما ذهب إليه المحققون وصححه النووي، وذهبت طائفة إلى أنه لَا يُحْشَرُ إِلَّا مَنْ يُجَازَى.

(١) وكيفية التبديل يكون إما بأن تغير صفات السهوات والأرض فتكَوَّرَ شمسها وقمرها، وتناثر نجومها، وتسوى أكامها، وتسف جبالها، وتمدُّ أرضها، ف﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً﴾ [طه:١٠٧]، وإما أن تزال السهوات والأرض ويؤتى ببدلها.

(٢) عَفْرَاء: بِيضَاء، وليس بياضها بالناصع. الْقَرْصَةُ: ما يبقى في المنخل بعد الانتخال. النَّقِيُّ: الدقيق الذي نَقِيَ من الغش والنخال. عِلْمٌ: أي ليس فيها علامة سكنى ولا بناء ولا أثر.

"وقيام الناس لرب العالمين؛ لاستنطاقهم والإشهاد عليهم والفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون.. حق.. قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]" وهو طول القيام ودنو الشمس من الرؤوس بمقدار ميل، فيكون الناس على مقدار أعمالهم في العرق، فيبلغ ببعضهم إلى كعبيه، ومنهم إلى ساقيه، ومنهم إلى ركبتيه، ومنهم إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً. ويكلمهم في شأن أعمالهم وما لها من الثواب، وما عليها من العقاب.. قال ﷺ ﴿مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيَكْلُمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ثَرْجُمَانٌ...﴾ [متفق عليه].

وأخذ كتاب الأعمال باليمين أو بالشمال أو من وراء الظهر.. حق، والحساب.. حق، والميزان.. حق، والصراط.. حق.

"أخذ كتاب الأعمال" وهو الكتاب الذي كتبت فيه الملائكة ما فعله العبد في الدنيا، فيستلم المؤمن ولو عاصياً الكتاب "باليمين" .. قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا] [الانشقاق: ٨٧].

ويستلم الكافر الكتاب "بالشمال" .. قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِي﴾ [الحاقة: ٢٥]، "أو من وراء الظهر" .. قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوِّيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا] وَيَصْلَى سَعِيرًا [الانشقاق: ١٢٠].

"الحساب" وهو توقيف الله تعالى العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم من خير أو شر، قول أو فعل.. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [٥١].

عمران: ١٩٩.

ومن الناس مَنْ يختصهم الحق تعالى فلا يحاسبهم كما جاء في الحديث «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ.. سَبْعُونَ أَلْفًا، وَثَلَاثُ حَيَّاتٍ مِنْ حَيَّاتِهِ» [أخرجه الترمذي].

وكيفية الحساب متفاوتة فمنه اليسير والعسير، والسر والجهر، والفضل والعدل. وحكمته: إظهار تفاوت المراتب في الكمال والنقص.

ويكون الحساب بعد أخذ الكتب مؤمنهم وكافرهم إلا من استثنى الله منهم.

ويُقتَضُ كذلك فيما بين البهائم حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يقول لها: كوني تراباً، وعند ذلك ﴿يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [الباء: ٤٠].

يتلخص من ذلك: أن الناس عند الحساب ثلاث فرق:

(١) فرقة لا تحاسب أصلاً، بل تدخل الجنة بغير حساب.

(٢) وفرقة تحاسب حساباً يسيراً، بلا مناقشة ولا تشديد.. وهم صلحاء المؤمنين.

(٣) وفرقة تحاسب حساباً شديداً، بمناقشة وتشديد.. وهم الكفار، وبعض

عصاة المؤمنين.

"الميزان" له قسبة وعمود وكفتان عظيمتان [كل منهما كما بين السماء والأرض].. قال ﷺ «يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.. فَلََوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ

لَوِ سَعَتْ» [أخرجه الحاكم في «المستدرک»، وقال الذهبي في «التلخيص»: هل شرط مسلم].

ومحله: بعد الحساب، والوزن يكون بوضع الحسنات في كفة، والسيئات في كفة، ويكون ذلك على المؤمن والكافر، بعد أخذ الصحف، وهو وزن عام لجميع ما اقترفته يدا الإنسان من أعمال.

فيوزن أعمال مَنْ لم يصدر منه طاعة قط؛ إظهاراً لشقاوته وفضيحته على رؤوس الأشهاد، وكذلك توزن أعمال مَنْ لم يصدر منه ذنب قط؛ إظهاراً لسعادته وشرفه على رؤوس الأشهاد وعلو همته.. قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ [القلعة: ٦-٧].

والذي يوزن يوم القيامة هي: الصحف التي تُكتب فيها الأعمال، واختاره أبو عبد الله القرطبي وابن عبد البر والفخر الرازي، والبيجوري في شرحه على «الجوهرة» بدليل «حديث البطاقة» الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما.

واختار بعضهم - كالدرديري في شرح «خريدته» - أن الموزون هو عين العمل، واختاره ابن حزم والطبري والحافظ ابن حجر وغيرهم.. بدليل قوله ﷺ «الْحَمْدُ لِلَّهِ..

تَمَلُّا الْمِيزَانَ» [أخرجه مسلم]، و«مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلِقَ حَسَنٍ» [أخرجه الترمذي، وأحمد وأبو داود بنحوه].

وقال آخرون: أن الموزون هو صاحب العمل كما ورد أن النبي ﷺ قال عن دقة ساقى ابن مسعود «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَكُوهَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ» [أخرجه أحمد في «المستدرج»].

"الصراط" جسر ممدود على متن جهنم بين الموقف والجنة؛ لأن جهنم بينهما، أدق من الشعرة وأحد من السيف، يمر عليه الأولون والآخرون.. قال ﷺ «وَلِحَبْنَمِ

جَسْرٌ أَدْنَىٰ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ» [خرجه أحمد]، «فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ،
وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ، وَالرَّكَابِ، فَتَنَاجٍ مُسَلِّمٌ، وَمُخَدَّوْشٌ
مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» [خرجه مسلم].

وأول من يجتاز الصراط: نبينا محمد ﷺ مع أمته.. قال ﷺ «يُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ
ظَهْرِي جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَنَا وَأَمْتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا» [متفق عليه].

والجنة.. حق، والنار.. حق، والحوض.. حق، وأن الشفاعة العظمى مخصوصة
بنبينا محمد ﷺ، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن العظيم، وجاء في الأحاديث
المروية عنه ﷺ.

"والجنة" وهي دار الثواب الذي أعده الله للمتقين.. قال تعالى ﴿جَزَاؤُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [البقرة: ٨٠].

وهي موجودة الآن بدليل قصة سكنى آدم في الجنة ثم خروجه منها، ويقول
تعالى ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقد اختلف العلماء في محل وجود الجنة ف قيل: في السماء السابعة وهو المختار^(١)،
وقيل: بالوقف، واسم خازن الجنة: رضوان.

هيئة المؤمنين.. قال ﷺ «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرَدًا مُرَدًا مَكْحَلِينَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ أَوْ
ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً» [خرجه الترمذي].

(١) قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ﴾ [الطه: ١٨].

وقال «أَخْلَاثُهُمْ عَلَى خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ.. عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ أَدَمَ سِتُونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ» [تفقه عليه].

ولهم من الطعام ما تشتهيهِ الأنفس وتلذ الأعين، وأول أكلهم في الجنة.. زيادة كبد الحوت^(١)، وهي أطيب ما يكون من الكبد، ويأكلون من ثمار الجنة، وشرابهم من عين فيها تسمى: سلسيلا، لا يسقمون ولا يمتخطون ولا يبصقون، ونساءهم أبقاراً متحبة إلى زوجها، لا يمتد طرفها إلى غيره، لو اطلعت على أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، وتزوجهم من الحور العين، وكثرة الخدم حوالِيهم^(٢)، ولباسهم السندس والاستبرق، وحليهم وأوانيهم من الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم.. الأَلُوءَةُ^(٣)، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وأعلى نعيمهم: النظر إلى وجه الله الكريم؛ للآيات والأحاديث وإجماع الصحابة بلا تكيف ولا انحصار.. وتكون للمؤمنين من الإنس والجن، وكذلك الصبيان والملائكة والذين أدركهم البلوغ على الجنون وماتوا عليه.

(١) قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: زِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ» [أخرجه البخاري].

(٢) قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنَزَلَةُ الَّذِي لَهُ ثَمَانُونَ أَلْفَ خَادِمٍ، وَثَمَانُونَ سَبْعُونَ زَوْجَةً» [أخرجه أحمد].

(٣) المجامر: جمع مجمرة وهي المبخرة، الأَلُوءَةُ: العود الذي يبخر به. [فتح الباري].

والرؤية في الجنة تختلف باختلاف الراي، و«إِنَّ أَفْضَلَهُمْ مَثْوًى لَّنْظَرٍ فِي وَجْهِ
 اللَّهِ تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ» [خرجه أحمد، والبيهقي في «البعث والنشور»]، ومنهم من يراه كل جمعة،
 ومنهم من يراه في العيد.

"والنار" وهي دار العقاب الذي أعدّه الله للكافرين.. قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ
 الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [خالد بن زيد فيها أبداً] [الأحزاب: ٦٥، ٦٤]، و«أَوْقَدَ عَلَى النَّارِ
 أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ائْتَرَتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أَوْقَدَ عَلَيْهَا أَلْفَ
 سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ» [خرجه الترمذي].

وهي موجودة الآن أيضاً بدليل قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾
 [آل عمران: ١٣١].

واختلف في وجود النار.. فقليل: تحت الأرض^(١)، وقيل: بالوقف.

واسم خازن النار: مالك.

هيئة الكافرين.. قال ﷺ «إِنَّ غِلَظَ جِلْدِ الْكَافِرِ.. اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعًا، وَإِنَّ
 ضَرْسَهُ.. مِثْلَ أَحَدٍ، وَإِنَّ مَجْلِسَهُ مِنْ جَهَنَّمَ.. كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، إِنَّ الْكَافِرَ
 لَيَسْحَبُ لِسَانَهُ الْقَرَسَخَ وَالْقَرَسَخَيْنِ يَتَوَطَّؤُهُ النَّاسُ» [خرجه الترمذي].

وقال ﷺ عن عرض جسم الكافر أن «مَا بَيْنَ مَتْنِي الْكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
 لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ» [متفق عليه].

(١) قال تعالى ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينَ﴾ [الطه: ٤٧].

"الحوض" طوله مسيرة شهر.. قال ﷺ عن حوضه «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ» [متفق عليه]، زواياه سواء، مأؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب ريحاً من المسك، وأشد برداً من الثلج، أباريقه بعدد نجوم السماء، يصب فيه ميزابان، يمدانه من الجنة، أحدهما من الذهب والآخر من الفضة، مَنْ شرب منه.. لم يظمأ.

ولكل نبيٍّ حوضٌ يوم القيامة كما ورد «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا» [أخرجه الترمذي]، و«أَوَّلُ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرُودًا.. صَعَالِيكُ الْمُهَاجِرِينَ» [أخرجه أحمد].

"الشفاعة العظمى" سؤال الخير للغير، وهي ثابتة للنبي ﷺ يوم القيامة كما قال «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَايِرِ مِنْ أُمَّتِي» [أخرجه الترمذي].

والشفاعة العظمى: إخراج الناس من هول الموقف بعد أن يطول وقوفهم، والشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، و«إِنَّ الْكَافِرَ لِكَلِمَتِهِ الْعَرْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: أَرِخْنِي وَلَوْ إِلَى النَّارِ» [الترغيب والغرابة]، فيلجأ الخلائق إلى آدم ﷺ ثم نوح ﷺ ثم إبراهيم ﷺ ثم موسى ﷺ ثم عيسى ﷺ ثم يأتون نبينا محمداً ﷺ فيقول «أَنَا هَذَا، أَنَا هَذَا»، ثم يسجد تحت العرش، ويلهمه تعالى محامد يحمد بها لا تحضره الآن، ثم ينادى «يَا مُحَمَّدُ... إِرْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَى وَاشْفَعْ تُشْفَعُ» [متفق عليه].. وهذا هو المقام المحمود الذي يحمد فيه الأولون والآخرين.. قال تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الأنعام: ٨٣].. وهي "مخصوصة بنبينا محمد ﷺ" لا يشاركه فيها أحد، وهناك شفاعات أخرى وهي:

الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب.

والشفاعة لأناس استوجبوا دخول النار أن لا يدخلوها.

والشفاعة لأناس دخلوا النار أن يخرجوا منها^(١).

والشفاعة في زيادة درجات أهل الجنة.

والشفاعة في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع لهم في دخول الجنة.

والشفاعة في بعض من خلّد في النار أن يخفّف عنه العذاب.

العقيدة المجملّة

وبعد.. فإننا والحمد لله قد رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبسيدنا محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلّة، وبالمؤمنين إخواناً. تيرأنا من كلّ دين يخالف دين الإسلام، وآمنا بكلّ كتاب أنزله الله، ويكلّ رسول أرسله الله، وبملائكة الله، وباليوم الآخر، وبالقدر خير وشره، ويكلّ ما جاء به سيدنا محمد رسول الله عن الله تعالى. على ذلك نحيا، وعليه نموت، وعليه نبعث إن شاء الله تعالى من الأمنين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بفضلِكَ اللهم يا رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

هذه عقيدة مجملّة للإمام عبد الله بن علوي الحداد - رحمه الله - طرّزها كتابه «النصائح الدينية والوصايا الإيمانية».

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

تمّ الانتهاء من هذا الشرح يوم الثلاثاء ٢٣/١١/١٤٣٠ هـ

وتمّ التنقيح والإضافة يوم السبت ١٠/١/١٤٣٤ هـ

(١) أقلها: لحظة، وأقصاها: سبعة آلاف سنة.

(ملحق) الأدلة العقلية على صفات الله تعالى

الدليل العقلي على صفة الوجود

لو لم يكن وجوده تعالى وجوداً ذاتياً.. لاحتاج إلى موجد فيكون بذلك حادثاً، ولو افتقر إلى موجد محدث لافتقر محدثه إلى محدث فيلزم من ذلك الدور^(١) أو التسلسل^(٢)، وهما باطلان، وما أدى إليهما فهو باطل.

الدليل العقلي على حدوث العالم

دليل حدوث العالم هو التغير.. وهذا مشاهد، فالعالم متغير، والمتغير جائز عليه العدم، فينتج من ذلك.. كون العالم جائز عليه العدم، وكل ما جاز عليه العدم.. استحال في حقه القدم؛ لأن القدم يتنافى مع العدم. وبعد اثبات حدوث العالم، يُعلم أن هناك محدث لها بلا أدنى شك، حيث إنه لو لم يكن للعالم محدث وإنما حدث بنفسه - أي: ترجَّح وجوده على عدمه من غير مرجح -، للزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين في العقل - وهما: الوجود والعدم - (مساوياً للآخر وراجحاً عليه بلا ترجيح مرجح) في آن واحد، وهذا محال^(٣).

(١) الدور: توقف شيء على شيء آخر يتوقف عليه. كأن تقول: (أ) أوجد (ب)، و(ب) أوجد (أ).

(٢) التسلسل: تتابع الأشياء واحداً قبل واحد إلى ما لا نهاية له.

(٣) لأنه يؤدي إلى اجتماع النقيضين، حيث يؤدي إلى الاجتماع بين التساوي واللاتساوي [أي:

الرجحان]، وذلك لأن العالم بعد إثبات أنه حادث.. فهو ممكن، والممكن يتساوى فيه الطرفان -

وهما الوجود والعدم لذاته.. فلو قيل: إن هذا العالم الممكن قد وجد بذاته والوجود يلزمه رجحان

طرف الوجود على العدم، فيلزم أنه لذاته اجتمع فيه مساواة الوجود والعدم، و[اجتمع فيه]

رجحان الوجود على العدم، ومعلوم أن هذا باطل. «تعليقات الشيخ سعيد فودة على أم البراهين» بصرف

الدليل العقلي على صفة القدم

أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث، وافتقر محدثه إلى محدث، فيلزم من ذلك التسلسل أو الدور، وقد تقدم بطلانها، فينتج من ذلك كونه تعالى قديماً وهو المطلوب.

الدليل العقلي على صفة البقاء

لو جاز عليه العدم بعد الوجود لاستحال في حقه القدم، إذ كل ما ثبت قدمه.. استحال عدمه.

والقدم قد وجب له بالدليل النقلي والعقلي القاطع، وإلا لزم أن يكون وجوده حينذاك جائزاً، والجائز لا يكون وجوده إلا حادثاً.

ولو لم يكن باقياً لاعتراه الفناء، ولو فني لافتقر فناؤه إلى سبب ومرجح، والفناء لا يطرأ إلا على الحوادث، فيلزم أن يكون حادثاً، وهذا محال؛ لثبوت قدمه الأزلي.

الدليل العقلي على صفة مخالفته للحوادث

أن الله تعالى لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها، والمثلية باطلة.. إذ لا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق، فلو ماثلها لكان مخلوقاً حادثاً وهو باطل؛ لثبوت قدمه بالدليل السابق.

الدليل العقلي على استغناؤه عن المخصص

لو كان محتاجاً إلى مخصص يخصه بالوجود عن العدم لكان مخلوقاً حادثاً؛ لاحتياجه لغيره، ولو كان حادثاً لافتقر إلى محدث، ولا يمكن ذلك؛ لثبوت وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث.

الدليل العقلي على وحدانية الذات

أنه لو فرض إلهان في الكون.. فيما أن يتفقا على فعل الممكن، وإما أن يختلفا:

فإن اتفقا على فعل الممكن: فإما أن يوجد الشيء معاً وهذا باطل؛ لاجتماع مؤثرين على أثر واحد.. وهو محال كمطرقتي الحداد، كما أن اشتراكهما في فعل الممكن دليل على عدم إمكان قيام أحدهما بفعله مستقلاً، فيلزم عجزهما، والعاجز لا يكون إلهاً.

وإما أن يوجداه مرتباً بأن يوجد أحدهما ثم يوجد الآخر.. وهذا باطل أيضاً؛ لأنه إيجاد للموجود، وهذا تحصيل حاصل.

وإما أن يوجد أحدهما البعض ويوجد الآخر للبعض الآخر.. فيلزم عجزهما حينذاك؛ لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض.. سدّ على الآخر تعلق قدرته به.

وإن اختلفا في فعل الممكن: بأن أراد أحدهما إيجاد شيء، والآخر إعدامه.

فإنه إما ينفذ مرادهما معاً.. فيلزم منه اجتماع نقيضين.. وهذا باطل.

وإما أن لا ينفذ مرادهما معاً.. فيلزم عجزهما معاً.. وهذا باطل أيضاً.

وإما أن ينفذ مراد أحدهما دون مراد الآخر.. فيلزم منه عجز من لم ينفذ مراده، ويلزم أيضاً عجز الآخر؛ لانعقاد الماثلة بينهما، وللمثلين نفس الأحكام، حيث إن ماثلة العاجز عاجز، فينتج عن هذا أن الإله واحد آخر غيرهما.

الدليل العقلي على صفة القدرة

لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً، ولو كان كذلك لما وجد العالم المحكم المتقن المدرك بضرورة العقل، كيف ووجودها ثابت بالمشاهدة، وذلك يدل على القدرة.

الدليل العقلي على صفة الإرادة

أنه قد ثبت أن لهذا العالم مبدعاً وفاعلاً، وهذا المبدع الفاعل إما أن يصنع العالم بالاختيار وإما بالإيجاب، وإذا بطل صنعه بالإيجاب؛ لأن معنى الإيجاب أن يتأتى منه الفعل دون الترك.. ثبت الاختيار، إذ الشواهد كلها تدل على الاختيار. وكل من ثبت له الاختيار.. وجب له الإرادة؛ لأنه لو لم يكن مريداً لكان مكروهاً، ولو كان كذلك لكان عاجزاً عن الإيجاد والإعدام، وهو محال؛ لثبوت القدرة له تعالى.

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥	ترجمة مختصرة عن مؤلف متن دروس التوحيد.....
٧	المقدمة.....
٩	مبادئ علم التوحيد.....
١١	التقليد في التوحيد وحكمه.....
١٢	أول ما يجب على المكلف معرفته.....
١٣	البسملة [فضلها، شرحها، أحكامها].....
١٧	سورة الإخلاص [سبب نزولها، فضلها].....
١٨	الحمدلة [فضلها، أحكامها].....
٢٥	تعريف علم التوحيد.....
٢٨	أقسام الحكم العقلي.....
٣٣	الواجب في حق الله تعالى إجمالاً وتفصيلاً.....
٣٥	المستحيل في حق الله تعالى إجمالاً وتفصيلاً.....
٣٦	الجائز في حق الله تعالى.....
٣٩	صفة الوجود ودليلها.....
٤٢	صفة القدم ودليلها.....
٤٤	صفة البقاء ودليلها.....
٤٦	صفة مخالفته للحوادث ودليلها.....
٥١	أمثلة على بعض النصوص التي يوهم ظاهرها التشبيه.....
٦١	صفة قيامه بنفسه ودليلها.....
٦٣	صفة الوحدانية ودليلها.....
٦٧	صفة القدرة ودليلها.....
٧١	صفة الإرادة ودليلها.....
٧٣	صفة العلم ودليلها.....
٧٦	صفة الحياة ودليلها.....
٧٨	صفة السمع ودليلها.....
٨٠	صفة البصر ودليلها.....
٨٢	صفة الكلام ودليلها.....
٨٩	أقسام الصفات الواجبة في حق الله تعالى.....
٨٩	القسم الأول: الصفة النفسية.....
٩٠	القسم الثاني: الصفات السلبية.....
٩١	القسم الثالث: صفات المعاني.....

٩٣	القسم الرابع: الصفات المعنوية.....
٩٤	هل المعنوية صفات أم أمور اعتبارية.....
٩٦	الصفات الواجبة والمستحيلة في حق الرسل.....
٩٧	الصفة الجائزة في حق الرسل.....
٩٩	فوائد وقوع الأعراض البشرية على الأنبياء.....
١٠٠	صفة الصدق.....
١٠٣	صفة الأمانة.....
١٠٧	صفة التبليغ.....
١٠٨	صفة الفطانة.....
١١٠	الرسل الواجب معرفتهم تفصيلاً.....
١١١	الرسول والنبي.....
١١٣	أول النبيين وخاتمهم.....
١١٦	السمعيات.....
١١٧	سؤال الملكين.....
١١٩	البعث.....
١١٩	إعادة الأجساد.....
١٢٠	الحشر.....
١٢١	قيام الناس لرب العالمين.....
١٢١	أخذ العباد كتب الأعمال.....
١٢٢	الحساب.....
١٢٢	الميزان.....
١٢٣	الصراط.....
١٢٤	الجنة.....
١٢٦	النار.....
١٢٧	الحوض.....
١٢٧	الشفاعة.....
١٢٨	العقيدة المجملة.....
١٢٩	ملحق: الأدلة العقلية على إثبات صفات الله تعالى.....
١٣٣	المحتويات.....

تَمَّتْ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ
 رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ
 رَبَّنَا لَا تُغْنِ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
 رَبَّنَا أَمَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ

اللَّهُمَّ يَا جَامِعَ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.. اجْمَعْ بَيْنَنَا وَمَقَامَ الصَّدِيقَةِ الْكُبْرَى
 وَالْخِلَافَةِ الْعَظْمَى، وَالْفَتْحِ الْمَطْلُوقِ، وَالْوُصُولِ الْمَحْقُوقِ، وَعِلْمِ الْيَقِينِ وَعَيْنِهِ وَحَقِّهِ
 وَالذَّرَايَةِ الشَّامِلَةِ لَجَمِيعِ الْعُلُومِ، الَّتِي لَا يَبْقَى مَعَهَا جَهْلٌ بِشَيْءٍ مِنْهَا أَبَدًا
 وَتَعْلِيمُهَا وَبَيْتُهَا وَنَشْرِهَا، وَالْعُمُرَ الطَّوِيلَ، وَالْعَطَاءَ الْجَزِيلَ
 وَيَبْلُوغَ الْمَرَامِ، وَحُسْنَ الْخِتَامِ
 وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
 وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
